الفصل الثاني

حياة الشيخ الأمين العلمية

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول: طلبه للعلم، وشيوخه

المبحث الثاني: عقيدته

المبحث الثالث: أعماله ، ووظائفه

المبحث الرابع: تلاميذه

المبحث الخامس: مؤلفاته

المبحث السادس: ثناء العلماء عليه

المبحـــث الأول

طلبه للعلم ، ومشايخه

قال الشيخ عطية سالم يخبر عن الشيخ الأمين رحمه الله :

«حفظ القرآن في بيت أخواله ، على خاله عبد الله ، وعمره عشر سنوات ، قال رحمه الله : ثمّ تعلمت رسم المصحف العثماني (المصحف الأم) عن ابن خالي سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن المختار ، وقرأت عليه التجويد في مقرأ نافع برواية ورش ، من طريق أبي يعقوب الأزرق . وقالون ؛ من رواية أبي نشيط . وأخذت عنه سنداً بذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ذلك وعمري ست عشرة سنة» (١) .

أنواع الدراسة في القرآن: تعتبر الدراسة في علوم القرآن منهجاً متكاملاً ، لا تقتصر على الحفظ والأداء ، بل تتناول معرفة رسم المصحف ؛ أي نوع كتابته ؛ ما كان موصولاً أو مفصولاً ، وما رسم فيه المدّ أو كان يمدّ بدون وجود حرف المدّ ، وقد يكون حرفاً صغيراً أو نحو ذلك . ثمّ ضبط ما فيه من منشأيه في الرسم أو التلاوة . ومن المشهور عندهم في هذا رجز (محمد بن بوجه) المشهور . المعروف بالبحر ، تعرض فيه لكلّ كلمة جاءت في القرآن مرة واحدة ، أو مرتين ، أو ثلاث مرات إلى سبع وعشرين مرة ؛ أي من الكلمات المشتبهة . وأفرد كلّ عدد بفصل ؛ فمثلاً : كلمة (أعينهم) بالرفع : جاءت ثلاث مرات ، قال فيها :

أعينهم بالرفع من غير حضور من بعد كانت وتولت وتدور

ومن الثنائي : كلمة (الأشياع) بالعين ، قال فيه :

أشياع بالعين فهل من مدكر في سبأ من قبل بأنهم ذكر

---

(١) ترجمة الشيخ رحمه الله في أضواء البيان ١/ ٢١-٢٢ .

وقد درس هذا كله في طفولته، وكانت له زيادة نظم على ذلك تذييلا لزيادة الفائدة، كما قال على البيت الأخير مبيناً حركاته وإعرابه :

في سورة القمر خاطب وانصبا وجره وغيبه في سبا

أي في سورة القمر تكون تلاوتها الخطاب والنصب : «ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر» . وفي سورة سبأ تكون تلاوتها بالغيبة والجر «كما فعل بأشياعهم» . وهذه دراسة لا تكاد توجد إلا ما شاء الله، وهي من المهام العلمية لحفظها رسم القرآن من التغيير والتبديل، وهي من آثار تعهد الله بحفظ هذا القرآن المنزل من عنده سبحانه .

ثم قال رحمه الله : وفي أثناء هذه القراءة درست بعض المختصرات في فقه مالك ؛ كرجز الشيخ ابن عاشر . وفي أثنائها أيضاً درست دراسة واسعة في الأدب على زوجة خالي أم ولد الخال ؛ - أي أنّ ولد خاله يعلمه العلوم الخاصة بالقرآن، وأمه تعلمه الأدب - قال : أخذت عنها مباديء النحو ؛ كالأجرومية، وتمرينات ودروس واسعة في أنساب العرب وأيامهم، والسيرة النبوية، ونظم الغزوات لأحمد البدوي الشنقيطي ؛ وهو يزيد على خمسمائة بيت، وشروحه لابن أخت المؤلف المعروف بحماد، ونظم عمود النسب للمؤلف ؛ وهو يعدّ بالآلاف، وشرحه لابن أخته المذكور على خصوص العدنانيين ؛ لأنه مات قبل شرح ما يتعلق بالقحطانيين .

هذه دراسة في علوم القرآن والآداب والسير والتاريخ، كانت في بيت أخواله ؛ على أخواله، وأبناء أخواله، وزوجات أخواله ؛ أي كان بيت أخواله المدرسة الأولى له . أما بقية الفنون ؛ فقال :

أولاً : الفقه المالكي : وهو المذهب السائد في البلاد : درست مختصر خليل . بدأ دراسته فيه على الشيخ محمد بن صالح إلى قسم العبادات، ثمّ درس عليه النصف من ألفية ابن مالك، ثمّ أخذ بقية

الفنون على مشايخ متعددين في فنون مختلفة، وكلهم من الجكنيين، ومنهم مشاهير العلماء في البلاد، منهم :

١- الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأفرم.

٢- والشيخ أحمد الأفرم بن محمد المختار.

٣- والشيخ العلامة أحمد بن عمر.

٤- والفقيه الكبير محمد النعمة بن زيدان.

٥- والفقيه الكبير أحمد بن مُودْ.

٦- والعلامة المتبحر في الفنون أحمد فال بن آدُه.

وغيرهم من المشايخ الجكنيين.

وقال رحمه الله : وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كلّ الفنون؛ النحو، والصرف، والأصول، والبلاغة، وبعض التفسير والحديث. أما المنطق وآداب البحث والمناظرة : فقد حصلناه بالمطالعة؛ هذا ما أملاه عليّ رحمه الله. وسجلته عنه.

علماً بأنّ الفنّ الذي درسه على المشايخ، أو مطالعة من الكتب لم يقتصر في تحصيله على دراسته، بل كان دائماً يديم النظر، ويواصل التحصيل، حتى غدا في كلّ منه كأنه متخصص فيه، بل وله في كلّ منه اجتهادات ومباحث مبتكرة[1].

دراسة الشيخ رحمه الله :

وقد أوجزها الشيخ عطية سالم فيما يأتي :

١- في مبدأ دراسته تقدم أنه أتيح له في بادئ دراسته ما لم يتح لغيره؛

(١) انظر المصدر السابق نفسه، ١/ ٢٢ - ٢٥.

حيث كان بيت أخواله مدرسته الأولى. فلم يرحل في بادئ أمره للطلب، وكان وحيد والديه، . فكان في مكان التدلل والعناية.

٢- قال رحمه الله : كنت أميل إلى اللعب أكثر من الدراسة، حتى حفظت الحروف الهجائية، وبدأوا يقرئونني إياها بالحركات ؛ با فتحة، با . بي كسرة، بي. بو ضمة ، بو وهكذا. فقلت لهم : أو كلّ الحروف هكذا؟ فقالوا : نعم. فقلت : كفى، إني أستطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة، كي يتركونني. فقالوا : اقرأها، فقرأت بثلاثة حروف أو أربعة، وانتقلت إلى آخرها بهذه الطريقة، فعرفوا أني فهمت قاعدتها، واكتفوا مني بذلك، وتركوني. ومن ثم حببت إليّ القراءة.

٣- وقال رحمه الله : ولما حفظت القرآن، وأخذت الرسم العثماني، وتفوقت فيه على الأقران عُنيت بي والدتي وأخوالي أشدّ عناية، وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون، فجهزتني والدتي بجملين؛ أحدهما عليه مركبي وكتبي، والآخر عليه نفقتي وزادي. وصحبني خادم، ومعه عدة بقرات. وقد هيأت لي مركبي كأحسن ما يكون من مركب، وملابسي كأحسن ما تكون فرحاً بي وترغيباً لي في طلب العلم. وهكذا سلكت سبيل الطلب والتحصيل.

تقوم الحياة الدراسية على أساس منع الكلفة، وتمام الألفة، سواء بين الطلاب أنفسهم، أو بينهم وبين شيخهم، مع كمال الأدب، ووقار الحشمة. وقد تتخللها الطرق الأدبية، والمحاورات الشعرية، ومن ذلك ما حدثنيه رحمه الله، قال: قدمت على بعض المشايخ لأدرس عليه، ولم يكن يعرفني من قبل، فسأل عني: من أكون، وكان في ملأ من تلامذته، فقلت مرتجلاً:

هذا فتى من بني جاكان قد نزلا به الصبا عن لسان العرب قد عدلا
رمت به همة علياء نحوكم إذ شام برق علوم نوره اشتعلا
فجاء يرجو ركاماً من سحائبه تكسو لسان الفتى أزهاره حللا

إذ ضاق ذرعاً بجهل النحو ثم أبى ألا يميّز شكل العين من فعلاً
فقد أتى اليوم صبا مولعاً كلفا بالحمد لله لا أبغي له بدلا

يريد دراسة لامية الأفعال.

وقد مضى رحمه الله في طلب العلم قدما، وقد ألزمه بعض مشايخه بالقران؛ أي أن يقرن بين كلّ فنين حرصاً على سرعة تحصيله. وتفرساً له في القدرة على ذلك، فانصرف بهمة عالية في الدرس والتحصيل.

وقد خاطبه بعض أقرانه في أمر الزواج، فقال في ذلك، وفي الحثّ على طلب العلم:

دعاني الناصحون إلى النكاح غداة تزوجت بيض الملاح
فقالوا لي تزوج ذات دلّ خلوب اللحظ جائلة الوشاح
تبسّم عن نوشرة رقاق يمج الراح بالماء القراح
كأن لحاظها رشقات نبل تذيق القلب آلام الجراح
ولا عجب إذا كانت لحاظ لبيضاء المحاجر كالرماح
فكم قتلا كميتا ذا ولا حي ضعيفات الجفون بلا سلاح
فقلت لهم دعوني إن قلبي من العيّ الصراح اليوم صاحي
ولي شغل بأبكار عذارى كأنّ وجوهها ضوء الصباح
أراها في المهارق لابسات براقع من معانيها الصحاح
أبيت مفكرا فيها فتضحى لفهم الفدم خافضة الجناح
أبحت حريمها جبرا عليها وماكان الحريم بمستباح

إلى آخر ذلك ما ذكره الشيخ عطية سالم[1].

وقال ابنه عبد الله يحكي عن والده: «كان دائماً يحثنا على شعر أحمد بن حنبل الشنقيطي؛ لأنه يحثّ على العلم. ويتمثل بشعره الذي يقول فيه:

لا تسـؤ بالعلم ظناً يا فـتى ... إنّ سـوء الظنّ بالعلم عطب
لا يزهدك أخي في العلم أن ... غـمر الجـهـال أرباب الأدب
إن تر العـالـم نضـوا مـرمـلا ... صفـر كفّ لم تساعده سبب
وترى الجـاهل قـد حـاز الغنى ... مـحـرز المأمـول عن كلّ أرب
قد تجوع الأسد في آجامها ... والذئاب الغبش تعتام القتب
جـرع النفس على تحـصـيله ... مـضض المرين ذلّ وسـغب
لا يهـاب الشـوك قطاف الجنى ... وإبار النحل مشـتـار الضـرب

وكان رحمه الله قد ملكت عليه محبته للعلم وفهمه أحاسيسه، فإن كان يقرأ قد تصل إليه الشمس ولا ينتبه، وقد يضيع عليه الوقت، وقد ينتهي وقت الأكل والشرب، ووقت المواعيد التي عنده، فلا بدّ من أن ينبهه أحد إذا كان مشتغلاً بالعلم؛ لأنه يملك عليه شعوره.

وكان رحمه الله وهو مريض يدرس المسائل التي لا يستطيع أن يدرسها الجاهل المتعطش للعلم، وكنت أقرأ له أحياناً حتى أخرج من عنده وأنا معي دوار من كثرة ما قرأت عليه.

وكان في طلبه الأول يدرس المسائل دراسة جردية؛ فيأخذ مثلاً باب القياس، ويجمع كلّ الكتب والمراجع التي تتعلق بالقياس ويعكف عليه

---

(١) ترجمة الشيخ رحمه الله بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم - بتصرف - (انظر أضواء البيان ١/ ٢٨ - ٣١).

حتى يحفظه، ثمّ ينتقل إلى باب الاجتهاد، ثمّ إلى باب الأمر. وهكذا كان يأخذ المسائل جزئية جزئية، ولكن إذا أخذ الجزئية يجمع لها جميع ما يصل إليه من المراجع، ثمّ يدرس المسائل بحذافيرها.

وقال لي مرة: إنه درس نصاً من (خليل، في كتاب النكاح)، وهو (فصل: لو ببيع سلطان لفلس)، فقال: شرحه لي شيخي بعد العصر ولم أفهمه، وكررت قراءة الكتب، ولم أفهم. وجاء الليل فأوقدت ناراً، وجلست أقرأ على ضوئها، وجاء العشاء و صليت، وجلست أكرر القراءة في المراجع حتى طلع الفجر، ثم صليت الفجر وأنا لم أنم، ثمّ بعد ذلك فهمت المسألة، وكانت النتيجة قليلة، فقلت: لو كنت أتعبت ذهني لأستخرج مسائل من الكتاب والسنة لكنت أتيت للمسلمين بعلم كثير [1].

فالشيخ رحمه الله إذا وجد مسألة صعب عليه فهمها لا يهدأ له بال حتى يفهمها فهماً جيداً، ويعرف ما وراءها.

وكلّ العلوم درسها على شيوخه إلا فنّ المنطق؛ فإنه جلس عليه ستة شهور لا يخرج من البيت إلا للصلاة، وخرج بألفية جيدة، ومع الأسف فإن أغلبها مفقود. فهذا هو العلم الذي حصله الشيخ بنفسه. وقد أخبرني مشافهة أن كل آية في القرآن درسها على حدة، وذكر لي الشيخ عطية عن والدي أنه قال له: لا توجد في القرآن آية قال فيها الأقدمون شيئاً إلا حفظته.

وكان الشيخ رحمه الله إذا أخذ الكتاب يحاول أن يقرأه، وفي كلّ الكتب التي اقتناها يكتب المسائل التي قرأها في الصفحة الأولى من الكتاب.

وكان رحمه الله يحفظ ألفية ابن مالك، وألفية العراقي، وألفية مراقي السعود، ويحفظ من الشعر الشيء الكثير.

(١) ذكرها أيضاً الشيخ عطية في ترجمة الشيخ. (انظر أضواء البيان ١/ ٣١).

وكان يحفظ أكثر أحاديث البخاري ومسلم، وقد قال لنا في آخر حياته : ادرسوا عليّ الصحيحين، فإني أحبّ أن يدرسا عليّ».

وحدثني الدكتور/ محمد الخضر الناجي عن الشيخ الأمين رحمه الله ، فقال : «إنه قال أمامي في إحدى الجلسات أنه درس المصحف من أوله إلى آخره، ولم يترك منه آية إلا وعرف ما قاله العلماء فيها.

ولما قال له بعض الإخوان إنّ سليمان الجمل[1] لم يقل هذا. قال: أحلف لك بالله أني أعلم بكتاب الله من سليمان الجمل بكذا؛ لأني أخذت المصحف من أوله إلى آخره، ولم تبق آية إلا تتبعت أقوال العلماء فيها، وعرفت ما قالوا.

وقال أيضاً أمامي : إنه لم يبحث عن شيء مثل بحثه في مسألتين، ولم يقف منهما على مقنع، منهما معنى الأحرف السبعة والأقوال فيها تنيف عن أربعين قولاً. ثمّ المسألة الثانية في مسائل انفكاك الجهة».

(١) هو سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل. من أهل منية عجيل؛ إحدى قرى الغربية بمصر. له حاشية على تفسير الجلالين. مات سنة (١٢٠٤هـ).
(انظر : الأعلام ٣/ ١٣١ ، ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٧١).

المبحـــث الثـانـــي

عقيـــدتـه

العقيدة السائدة في موريتانيا هي العقيدة الأشعرية. ولا يعني هذا أنّ جميع الناس على هذا المعتقد، وليس فيهم سلفيون. وإنما عقيدة التأويل سائدة بين أوساط أكثر العلماء، ومن ثم كان تلاميذهم تبعاً لهم. وإلا فإنّ كثيرا من العوامّ سلفيون بالفطرة، يعرفون من التوحيد ما به يصحّ إيمانهم، ولا يعرفون شيئاً عن العقيدة الأشعرية التي يعتقدها أكثر علمائهم[1].

ولا يخلو زمان أو مكان من أفراد مصلحين يفهمون الوحي، وينور الله بصيرتهم فيعتنون بإبراز معتقد السلف. ومن هؤلاء كان الشيخ محمد الأمين رحمه الله؛ الذي كان على منهج السلف الصالح، وكان ينهل من الوحيين؛ كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويحذر من البدع والأهواء. فهو رحمه الله سلفي العقيدة يقول بما قال به الصحابة رضي الله عنهم والتابعون والأئمة المشهورون من السلف الصالح رضي الله عنهم. ولا أدلّ على ذلك من كلامه رحمه الله حين سئل عن مذهب أهل السنة في آيات الصفات وأحاديثها في مديرية (النعمة) في موريتانيا قبل مجيئه إلى المملكة، فأجاب رحمه الله بقوله: «إنّ المذهب الذي يسلم صاحبه من ورطتي التعطيل والتشبيه هو مذهب سلف هذه الأمة من الصحابة، والقرون المشهود لهم بالخير، وأئمة المذاهب، وعامة أهل الحديث، وهو الذي لا شك أنه الحق الذي لاغبار عليه، وضابطه: مجانبة أمرين: وهما التعطيل والتشبيه؛ فمجانبة التعطيل هي أن تثبت لله جلّ وعلا كلّ وصف أثبته لنفسه، أو أثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم؛ إذ من

---

(١) استفدت معنى هذا الكلام من الدكتور/ محمد الخضر الناجي.

الضروري أنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، ولا من رسوله صلوات الله وسلامه عليه الذي قال عنه ربه ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ (١)، ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾(٢)، ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾(٣)، ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾(٤). ومجانبة التشبيه هي أن تعلم أنّ كلّ وصف أثبته الله جلّ وعلا لنفسه، أو أثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم: فهو ثابت له حقيقة على الوجه البالغ من كمال العلوّ والرفعة والشرف ما يقطع علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين؛ ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾(٥)، ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إنّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾(٦)، ﴿لم يكن له كفوا أحد﴾ (٧)، (٨).

فالشيخ الأمين رحمه الله كان على معتقد السلف قبل مجيئه إلى المملكة، ولم يجد صعوبة، بل كان محلّ تقدير الجميع لشرف معتقده، فصار يدرس العقيدة الصحيحة التي كان عليها - قبل مجيئه-، للناس.

وقد سألت الأستاذ/ محمد الأمين بن الحسين عن معتقد الشيخ رحمه الله قبل مجيئه، فقال: «نقلت منه، واستقرأت عنه أنه كان على عقيدة أهل السنة والجماعة، وأكبر دليل على ذلك أنه حين قدم المملكة العربية السعودية، واجتمع بابن عمه محمد بن عبد الله بن آدّ" ؛ الذي كان قاضياً في المحكمة الشرعية في المهد والقنفذة ووادي الصفراء: سأله عن

---

(١) سورة النجم، الآيتان [٤-٣].
(٢) سورة البقرة، الآية [١٤٠].
(٣) سورة النساء، الآية [٨٧].
(٤) سورة النساء، الآية [١٢٢].
(٥) سورة الشورى، الآية [١١].
(٦) سورة النحل، الآية [٧٤].
(٧) سورة الإخلاص، الآية [٤].
(٨) وكلامه رحمه الله في ذلك طويل.
(انظر كتابه: الرحلة إلى المسجد الحرام صـ ٧٢ - ٨٧).

الوهابية، هل هم كما يقال؟ فقال له الشيخ محمد بن عبد الله : مثلك لا يسأل هذا السؤال ؛ فهؤلاء يرون أنهم حاملون لواء الإسلام، ولا سيما في العقيدة، وأنه هو - يعني الشيخ محمد الأمين - عالم جليل قادر على الردّ والبحث والأخذ والعطاء معهم، فيجب عليه أن يجتمع مع علمائهم، ويطلع بنفسه على ما عندهم. وإنه هو - يعني نفسه - قادر على جمعه بهم. فوافق الشيخ محمد الأمين على ذلك بعد قدومه المدينة من مكة. ثمّ أخبر الشيخ محمد عبد الله القاضي عبد الله بن زاحم رحمه الله، فاجتمع مع الشيخ، وسأله القاضي : ماذا تسمع عنا؟ فقال الشيخ محمد الأمين : بعض الناس يثني عليكم، وبعضهم يقدح. فقال له : وأيهم أكثر؟ فقال : القادحون أكثر. فقال القاضي للشيخ محمد الأمين : ما عندنا كالتالي : نحن لا نتعلق بمخلوق دون الله، و على مذهب الإمام أحمد شريطة أن لا يخالف الكتاب والسنة، ونخطئ من يؤول صفات الله عزّ وجلّ. فقال له الشيخ محمد الأمين وأنا مثلكم في هذا ؛ فإني لا أؤول الصفات. وألقى محاضرة في الصفات في بيت القاضي أيام مجيئه، فدلّ ذلك بقرينة واضحة أنه على معتقد أهل السنة والجماعة.

وقال لي الشيخ محمد الأمين وأنا أكتب معه أضواء البيان في مبحث : «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها»[1] بسورة محمد، وأخبرته بما قال لي الشيخ محمد عبد الله، فصدقني، وقال هذه المحاضرة هي التي جعلتها في أضواء البيان في سورة الأعراف، وفي سورة محمد جزء منها، فدلّ ذلك على أنّ حصيلته العلمية العقدية في الصفات لم تتغير، وأنه كان من أهل السنة والجماعة، ولو كانت جديدة عليه ما ألقاها في أول جلساته في المدينة مع العلماء.

---

(١) سورة محمد، الآية [٢٤].

وقد سأله رجل وهو يلقي درساً في بيته عن الصفات، فقال له : أكنت تقول بهذا في بلدك؟ قال : نعم كنت أقول به» .

ويؤكد الأستاذ محمد الأمين بن الحسين بشدة أنّ عقيدة الشيخ رحمه الله هي عقيدة السلف، لم تتغير، ولم يطرأ عليها شيء، ويقول : «هذا الذي أعرفه عنه، ومن قال غير ذلك فقد غلط؛ لأنه لم يلازمه رحمه الله مثلي؛ فقد كتبت الجزء الرابع والخامس بغير إملاء، والسادس والسابع بإملاء؛ لأنه رحمه الله ضعف عن الكتابة» .

وحدثني ابنه عبد الله أنه سأل الشيخ محمد بن عبد الله عن معتقد والده الشيخ الأمين؟ فقال لي : «إني رأيت الشيخ في جدة؛ يعني وقت مجيئه من بلاده. وسألني عن معتقد أهل البلاد هنا، فقلت له : إنهم يثبتون ما أثبت الله لنفسه، وينفون ما نفى الله عن نفسه، ويقفون مع النصوص. فقال هذه عقيدتي التي أدين الله بها» .

وقد استشكلت الباحثة/ سميرة بنت صقر آل محمد في عقيدة الشيخ رحمه الله : هل أخذها عن شيخ، أم أنه اعتمد على نفسه في تحصيلها؟ ثمّ مالت إلى أنه تلقاها عن بعض مشايخه أيام الطلب، وبالذات الشيخ محمد بن صالح، الشهير بابن أحمد الأفرم[1] .

والذي يظهر لي أنّ الشيخ رحمه الله لم يدرس عقيدة السلف على أحد، وإنما تحصل عليها بنفسه. أما في أول طلبه فيبدو أنه درس على معتقد الأشاعرة : لأنّ أغلب ما يوجد من المشايخ على طريقة الأشاعرة في العقيدة، خاصة بعد أن ألف أحمد المقري إضاءته في العقيدة الأشعرية؛ وهي منظومة كانت تدرس لسهولة حفظها. هذا ما أكده لي بعض تلاميذ الشيخ رحمه الله[2] .

(١) انظر : الشنقيطي، ومنهجه في التفسير ص ٥٥ .

(٢) منهم الدكتور محمد الخضر الناجي .

وفي سؤال طرحته على الدكتور/ محمد الخضر الناجي؛ سألته هل اكتسب الشيخ رحمه الله العقيدة السلفية بالتعلم؟ فأجاب حفظه الله قائلاً: «الشيخ بعد أن تعلم على العلماء في بلده صار له رأيه الحرّ والخاص، ونظرته الثاقبة إلى الوحي خاصة، ولذلك كاد أن يكون موصوفاً ببعض الشذوذ في بعض المسائل وهو هناك قبل مجيئه؛ نظرا لأنه كان يفتي بالوحي، بينما المفتون كانوا يفتون بالفقه فقط. فكأنّ يدا استعمارية خبيثة بثت في المعمورة أنّ الرجوع في الفتيا إلى القرآن والسنة لا يمكن إلا للعلماء المجتهدين الكبار، وعلى من دونهم أن يلتزم بالفقه والمذهب، فصار الوحي لا يدرس هناك، لا كرها له ولا عدم اعتبار له، ولكن اتقاء لله، وأنّ الكلام به من قبيل الكلام بالرأي. فصارت هناك هيبة وسياج عظيم حتى تعطلت أدلة الوحي. ولكنّ الشيخ فهم أنّ هذا الرأي غير صحيح فخرج عليه، وقد تكلم في (رحلة الحج) عن العقيدة كلاماً ممتازاً مرتباً نفهم منه أنه بدأ يستقرّ في فهم العقيدة قبل أن يصل إلى هذه الديار ويستقرّ بها.

وسمعته يقول: إنه في أواخر أيامه في موريتانيا تبين له أنّ الطريقة السلفية صحيحة، واعتنقها وهو في موريتانيا.

فهو قد توصل بنفسه إلى العقيدة الصحيحة؛ بسبب فهمه الثاقب وذكائه المفرط، ولا أعلم أنه تأثر بأحد أو قلده.

ثم سألت الشيخ محمد الناجي أيضاً: هل استفاد الشيخ الأمين رحمه الله من شيخه محمد بن صالح في العقيدة؟ فأجاب قائلاً «معظم العلماء الذين هناك أشعريون، وما أظنّ أنه استفاد منه في العقيدة، وما مرّ بي هذا، ولا أظنك تلقى أحداً يقول ذلك، بل استفاد من الشيخ المذكور في الفقه، والشيخ محمد بن صالح وإن كان ينكر البدع، لكنه ليس سلفيا».

ثمّ سألته مستفهما: إني سمعت أنّ الشيخ رحمه الله درس العقيدة السلفية في موريتانيا قبل استقراره بالمملكة؟ فقال: «أنا ما سمعت بهذا،

إلا إذا كان في طريقه، أو إبّان قدومه».

ويروي لنا د/ عبد الله بن الشيخ قصة عن والده في سبب تأثره بمعتقد السلف، فيقول: «قال لي الشيخ رحمة الله عليه أنه مرة جالت يده على كتاب في البلاد لرجل يسمى بالمبجل، فإذا هو يقول:

(كيف يصف الله نفسه بصفة، ويأتي العبد وينفيها عنه، والله يقول: ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾، وكلام قريب من هذا، ففهمت أنّ هذا هو الحقّ).

ويؤكد الشيخ محمد الأمين بن الحسين هذه القصة وأنه سمعها من الشيخ رحمه الله، لكنه لا يرتضي قول من قال: إنه تأثر بهذا الكتاب، وإنما هو رأى كتاباً وافيا في عقيدة أهل السنة والجماعة فاستحسنه، ولايدلّ ذلك على أنه تأثر به، ويقول: فهمت منه أنّ الكتاب كتاب جميل في موضوع العقيدة السلفية، ليس إلا.

وأخيرا: أختم هذا المبحث ببيان أنّ العبرة بالخواتيم، وأنّ الشيخ رحمه الله من أولئك الذين أكرمهم الله بالانتصار لمذهب السلف، والدفاع عنه، والدعوة إليه، والاعتناء به تدريسا وتأليفاً.

وقد نقد الشيخ الأمين رحمه الله منهج المتكلمين، وامتدح مذهب السلف، ورأى أنّ الإنسان العاقل لابدّ أن يصير إلى مذهب السلف في النهاية؛ فقال رحمه الله في معرض كلامه على مذهب المتكلمين: «وكلّ مذهب هذه حاله فإنه جدير بالعاقل المفكر أن يرجع عنه إلى مذهب السلف»[1].

وقال لي الشيخ محمد الناجي أيضاً «أتيت إليه مرة بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وقلت له: يا شيخ ماذا في هذا الكتاب، هل هو كتاب طيب؟ فقال لي: هذا كتاب ليس فيه من أوله إلى آخره إلا آيات وأحاديث، واقرأه إن شئت».

(١) أضواء البيان ٧/ ٤٦٨.

وقال تلميذه وابن عمه الشيخ أحمد بن أحمد الجكني في قصيدة يرثيه بها، ويمدحه بعقيدته السلفية[1]:

موت الإمام الحبر من جاكاني ... رزء ألمّ بأمة العدناني

يا للمصيبة للبرية إنها ... فقدت عظيم مناهل العرفان

شيخاً أضاء من العقيدة نيراً ... أرساه فوق دعائم البرهان

أعشى سناه كلّ جهم ملحد ... نبذ الكتاب لمنطق اليونان

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... حاو لكلّ تراجم القرآن

---

(١) وهي طويلة تقع في ستة وعشرين بيتاً.

(انظر: منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان للشيخ عبد الرحمن السديس ص٦٤).

المبحث الثالث

أعماله، ووظائفه

أولاً : أعماله قبل مجيئه إلى المملكة:

كانت أعماله رحمه الله كعمل أمثاله من العلماء : التدريس والفتيا. ولكنه كان قد اشتهر بالقضاء وبالفراسة فيه. ورغم وجود الحاكم الفرنسي إلا أنّ المواطنين كانوا عظيمي الثقة به: فكانوا يأتونه للقضاء بينهم، ويفدون إليه من أماكن بعيدة، أو حيث يكون نازلاً.

وكان الحاكم الفرنسي في البلاد يقضي بالقصاص في القتل بعد محاكمة ومرافعة واسعة النطاق، وبعد تمحيص القضية وإنهاء المرافعة وصدور الحكم يعرض على عالمين جليلين من علماء البلد ليصادقا عليه. ويطلق على العالمين : لجنة الدماء، ولا ينفذ حكم الإعدام قصاصاً إلا بعد مصادقتهما عليه.

وقد كان الشيخ الأمين رحمه الله أحد أعضاء هذه اللجنة، ولم يخرج من بلاده حتى علا قدره، وعظم تقديره، وصار علماً من أعلامها، وموضع ثقة أهلها وحكامها ومحكوميها[1].

ثانياً أعماله بعد قدومه المملكة :

يحدثني تلميذه الشيخ/ محمد الأمين بن الحسين عن أعمال الشيخ في المملكة بعد استقراره بها، فيقول : «كان مدرساً في المسجد النبوي، وقد فسر القرآن فيه مرتين. ودرس في مدرسة العلوم الشرعية، ثم انتقل إلى

(١) انظر ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم في مقدمة أضواء البيان ١/ ٣٤ - ٣٥ - بتصرف-.

الرياض مدرساً في الكليات والمعاهد، وأخيراً رجع إلى المدينة، ودرس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، حتى توفي وهو مدرس فيها.

وكان يدرس في الحرم النبوي طيلة فترة وجوده في المدينة، لاسيما في شهر رمضان؛ حيث كان يدرس القرآن الكريم. ومرة من المرات أحصيت أربعين مسجلاً للصوت تسجل دروسه».

كما كان رحمه الله أحد أعضاء هيئة كبار العلماء، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي[1].

(١) انظر ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة أضواء البيان ١/ ٤٩ - ٥٠.

المبحث الرابع

تلاميذه

بعد أن تبوأ الشيخ الأمين رحمه الله هذه المنزلة العالية، وحصلت له هذه الشهرة الواسعة، صار محط أنظار طلبة العلم؛ يرحلون إليه، ويحضرون دروسه، ويسمعون عليه. فتلقى العلم على يديه أفواج لا يحصون من طلاب العلم، ويصعب حصرهم. وهم منتشرون في هذه البلاد، وخارجها.

يقول الشيخ عطية سالم: «ولا يغالي من يقول: إنّ كل من تخرج أو يتخرج: فهو إما تلميذ له، أو لتلاميذه، فهم بمثابة أبنائه وأحفاده، وكفى»[1].

ومن أبرز هؤلاء التلاميذ:

[١] الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز؛ رئيس الجامعة الإسلامية سابقاً، ويشغل حال إعداد هذا البحث منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. وقد درس على الشيخ الأمين المنطق في سلم الأخضري[2].

[٢] الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح: إمام وخطيب المسجد النبوي، ورئيس محاكم المدينة المنورة.

[٣] الشيخ عبد الله بن غديان: عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة

---

(١) انظر: ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة أضواء البيان ١/ ٤٥ - ٤٦.

(٢) وكان الشيخ رحمه الله يثني على الشيخ عبد العزيز، ويقول: هو علامة زمانه في الفرائض. ويثني على علمه وخلقه. =

الدائمة للإفتاء في إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. والمدرس بالمعهد العالي للقضاء في الرياض.

[٤] الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد: نائب رئيس الجامعة الإسلامية سابقاً. ومدرس في المسجد النبوي، وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

[٥] الشيخ صالح بن محمد اللحيدان: عضو هيئة كبار العلماء ونائب رئيس مجلس القضاء الأعلى.

[٦] الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين/ عضو في اللجنة الدائمة للإفتاء.

[٧] الشيخ محمد بن صالح العثيمين/ عضو هيئة كبار العلماء.

[٨] الشيخ صالح بن فوزان الفوزان / عضو هيئة كبار العلماء.

[٩] الشيخ إبراهيم آل الشيخ / وزير العدل سابقاً.

[١٠] الشيخ عبد العزيز بن محمد العبد المنعم/ الأمين العام لهيئة كبار العلماء.

[١١] الشيخ عطية محمد سالم: المدرس بالمسجد النبوي، والقاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة.

[١٢] الشيخ راشد بن خنين: مستشار بالديوان الملكي.

= ويقول: جاءني زائراً مرة، وكنت أبحث عن حديث في سنن أبي داود، فقال لي الشيخ عبد العزيز: هذا الحديث في صفحة كذا، في جزء كذا، فوجدته كما قال، وكنت من أيام أبحث عن هذا الحديث. (حدثني بذلك د/ عبد الله بن الشيخ الأمين).

وقال لي محمد؛ ابن الشيخ الأمين: «كان والدي يقول: لاأرى أنّ في العالم أحداً مثل الشيخ عبد العزيز بن باز في التفاني في خدمة الإسلام والمسلمين»، ترجمة الشيخ عبد العزيز سترد في ص١٩٢.

[١٣] الشيخ الدكتور علي بن ناصر الفقيهي : أستاذ العقيدة في الجامعة الإسلامية . ورئيس مجلس شئون الدعوة فيها حالياً .

[١٤] د/ عبد الله قادري أستاذ الفقه في الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية .

[١٥] د/ عبد العزيز بن راجي الصاعدي : نائب الرئيس للبحوث والدراسات العليا في الجامعة الإسلامية .

[١٦] د/ محمد أمان بن علي الجامي : المدرس في المسجد النبوي حالياً وفي الجامعة الإسلامية سابقاً .

[١٧] الشيخ علي بن سليمان المهنا : رئيس المحكمة المستعجلة في المدينة المنورة .

[١٨] الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل : البحاثة المعروف . والمستشار الشرعي بوزارة الشئون البلدية والقروية .

[١٩] الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد : وكيل وزارة العدل للشئون القضائية .

[٢٠] د/ عبد العزيز القاري : أستاذ مشارك في قسم الدراسات العليا في كلية القرآن . وخطيب مسجد قباء .

[٢١] د/ عبد الله الزايد : نائب رئيس الجامعة الإسلامية سابقاً، وأستاذ أصول الفقه في كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض .

[٢٢] الشيخ حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي : أستاذ في كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود فرع القصيم .

[٢٣] د/ محمد حمود الوائلي : أستاذ في قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة في الجامعة الإسلامية .

[٢٤] د/ ربيع بن هادي مدخلي: أستاذ في الدراسات العليا في كلية الحديث في الجامعة الإسلامية.

[٢٥] د/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي: رئيس قسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

[٢٦] الشيخ/ المأمون محمد أحمد: مدرس متقاعد. وهو من كتّاب أضواء البيان.

[٢٧] الشيخ/ محمد الأمين بن الحسين: مدرس في المعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية. ومن أبرز تلاميذه الذين كتبوا عنه أضواء البيان.

[٢٨] الدكتور/ محمد الخضر الناجي ضيف الله: أستاذ مساعد في جامعة أم القرى بمكة، في قسم الكتاب والسنة، وقد لازم الشيخ تسع سنوات، وهو من كتّاب أضواء البيان.

[٢٩] الدكتور/ محمد مختار بن محمد الأمين (ابن الشيخ): رئيس قسم أصول الفقه في الجامعة الإسلامية.

[٣٠] الدكتور/ عبد الله بن محمد الأمين (ابن الشيخ): عميد كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية.

[٣١] الدكتور/ محمد عمر حويه: أستاذ في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، ومن كتّاب أضواء البيان.

[٣٢] الدكتور/ محمد بن السيد بن الحبيب: أستاذ في جامعة أم القرى.

[٣٣] الدكتور/ بابا بن آد: دكتور في جامعة أم القرى، ومن كتّاب أضواء البيان.

[٣٤] الشيخ/ محمد أحمد بن الشيخ يحيى: مدرس متقاعد وهو من كتّاب أضواء البيان.

[٣٥] الشيخ / محمد المختار أحمد مزيد : المدرس بالمسجد النبوي، والجامعة الإسلامية. توفي رحمه الله عام (١٤٠٥هـ).

[٣٦] السيد الأمين المامي : موظف في رابطة العالم الإسلامي سابقاً. وقد توفي رحمه الله-

[٣٧] الشيخ أحمد بن أحمد: مدرس في المسجد الحرام. ومن كتّاب أضواء البيان.

[٣٨] الشيخ إحسان إلهي ظهير - رحمه الله -.

و على العموم : فإن طلاب المعهد العلمي في الرياض - في السنوات الثلاث الأولى من إنشائه (١٣٧١هـ) - من تلاميذه، وكذا طلاب كلية الشريعة في الرياض- منذ إنشائها في عام (١٣٧٣هـ) إلى نهاية عام (١٣٨٠هـ) - من طلابه. وطلاب كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية منذ إنشاء الجامعة عام (١٣٨١هـ) وحتى وفاته سنة (١٣٩٣هـ) من طلابه كذلك.

ملاحظة : أملى عليّ أسماء بعض هؤلاء التلاميذ : فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد والشيخ محمد المختار بن محمد المختار وأملى الباقي الشيخ محمد الأمين بن الحسين بحضور بعض تلاميذ الشيخ رحمه الله من ذوي قرابته.

المبحث الخامس

مؤلفاته

خلف الشيخ رحمه الله آثاراً علمية تدلّ على سعة علمه، وطول نفسه في تحرير المسائل وتقريرها. وهي مؤلفات نفيسة ومفيدة وهي على نوعين : تآليف كتبها في بلاده، وتآليف كتبها في المملكة.

أما التي ألفها في بلاده، فهي :

[١] أنساب العرب : وهو نظم ألفه قبل البلوغ. ولما بلغ دفنه، قال : لأنه لم يكن لله وإنما كان على نية التفوق على الأقران.

[٢] رجز في فروع مذهب مالك يختصّ بالعقود من البيوع والرهون.

[٣] ألفية في المنطق.

[٤] نظم في الفرائض.

وكلّ هذه المؤلفات مخطوطة.

أما مؤلفاته في المملكة، فهي:

[١] منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز. وموضوعها إبطال إجراء المجاز في القرآن الكريم.

[٢] دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب. وقد أبان فيه ما يشبه التعارض في بعض الآي. وقد شمل القرآن كله.

[٣] مذكرة الأصول على روضة الناظر. جمع في شرحها أصول الحنابلة والمالكية والشافعية. وقد كانت مقررة على كليتي الشريعة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية.

[٤] آداب البحث والمناظرة. وقد أوضح فيه آداب البحث، من إيراد المسائل، وبيان الدليل.

[٥] أضواء البيان لتفسير القرآن بالقرآن، وهو مدرسة كاملة تتحدث عن

نفسها. وهو سبعة أجزاءكبار، وصل فيه رحمه الله إلى نهاية (قد سمع). وهو آخر مؤلفاته.

[٦] رحلة الحج إلى بيت الله الحرام.

وكلّ هذه المؤلفات مطبوعة.

المحاضرات، والرسائل:

[١] منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات.

أوضح فيها تحقيق إثبات صفات الله تعالى.

[٢] حكمة التشريع.

عالج فيها العديد من حكمة التشريع في كثير من أحكامه.

[٣] المثل العليا.

أوضح فيها المثالية في العقيدة والتشريع والأخلاق.

[٤] المصالح المرسلة.

بين فيها ضابط استعمالها بين الإفراط والتفريط

[٥] الإسلام دين كامل.

ألقاها بحضرة الملك محمد الخامس ملك المغرب عند زيارته للمدينة(١).

وهذه المحاضرات طبعت كلها مستقلة.

وقد جمعها الشيخ سيد الأمين بن المامي الجكني رحمه الله في كتاب سماه المعين والزاد في الدعوة والإرشاد. وضمنه بعض الكلمات للشيخ رحمه الله، والمراثي التي قيلت فيه.

[٦] حول شبهة الرقيق.

ولا تزال مخطوطة عند الشيخ عطية سالم.

---

(١) بتصرف من ترجمة الشيخ رحمه الله، بقلم تلميذه عطية سالم في مقدمته على أضواء البيان، ١/ ٥١-٥٥.

[٧] رسالة في حكم الصلاة في الطائرة .

كتبها استجابة لبعض علماء موريتانيا، حين زارها في رحلته الدعوية عام (١٣٨٥هـ) . ولا تزال مخطوطة ؛ تقع في ست صفحات، وقد اطلعت عليها عند ابنه د/ عبد الله .

[٨] رسالة في جواب سؤال من أحد أمراء بلاد شنقيط : أرسلها إلى الشيخ يسأله : هل العالم مخلوق ومرزوق من بركة النبيّ صلى الله عليه وسلم، أو ذلك بأسباب أخرى؟ وقد أجاب الشيخ رحمه الله عن ذلك بإحدى عشرة صفحة، وهي لاتزال مخطوطة عند ولده الدكتور عبد الله .

[٩] رسالة متضمنة لأسئلة مقدمة من الشيخ محمد الأمين بن الشيخ محمد الخضر، وفيها ثلاث مسائل ؛ الأولى : مقرّ العقل من الإنسان، والثانية : هل يشمل لفظ المشركين أهل الكتاب؟ والثالثة : هل يجوز للكافر أن يدخل مساجد الله غير المسجد الحرام . وهي تقع في إحدى عشرة صفحة . ولا تزال مخطوطة بحوزة ولده الدكتور عبد الله .

[١٠] رسالة حول منع الطواف في المسعى في الدور الثاني وهذه ذكرها لي الشيخ محمد الأمين بن الحسين .

ومن آثاره العلمية رحمه الله : أشرطة في تفسير القرآن الكريم قالها أثناء تدريسه في المسجد النبوي، وهي محفوظة في تسجيلات الجامعة الإسلامية، تقع في ثمانية وخمسين شريطاً، ولو فرغت لجاءت في مجلدات ضخمة .

وهي من السور التالية : وسوف أوضحها ذاكراً رقم الشريط أولاً، وما بعده من الأرقام هي أرقام الآيات المفسرة من السور في الشريط المذكور .

أولاً : من سورة الأنعام :

الشريط رقم [١] : وفسر فيه الآيات : (٣٣) - (٣٨).

الشريط رقم [٢] : وفسر فيه الآيات : (٣٨) - (٤٢).

الشريط رقم [٣] : وفسر فيه الآيات : (٤٢) - (٤٨).

الشريط رقم [٤] : وفسر فيه الآيات : (٤٩) - (٥٢).

الشريط رقم [٥] : وفسر فيه الآيات : (٥٣) - (٥٦).

الشريط رقم [٦] : وفسر فيه الآيات : (٥٧) - (٥٩).

الشريط رقم [٧] : وفسر فيه الآيات : (٧٤) - (٨٣).

الشريط رقم [٨] : وفسر فيه الآيات : (٨٣) - (٨٩).

الشريط رقم [٩] : وفسر فيه الآيات : (٩٠) - (٩٣).

الشريط رقم [١٠] : وفسر فيه الآيات : (٩٤) - (٩٧).

الشريط رقم [١١] : وفسر فيه الآيات : (٩٨) - (٩٩)، (١٠٣).

الشريط رقم [١٢] : وفسر فيه الآيات : (١٠٤) - (١٠٨).

الشريط رقم [١٣] : وفسر فيه الآيات : (١٠٨) - (١١١).

الشريط رقم [١٤] : وفسر فيه الآيات : (١١٢) - (١١٦).

الشريط رقم [١٥] : وفسر فيه الآيات : (١١٦) - (١٢٠)، (١٢٨).

الشريط رقم [١٦] : وفسر فيه الآيات : (١٢٨) - (١٣١).

الشريط رقم [١٧] : وفسر فيه الآيات : (١٣١) - (١٣٥).

: (١٤١) - (١٤٤).

الشريط رقم [١٨] : وفسر فيه الآيات : (١٤٤) - (١٤٦).

الشريط رقم [١٩] : وفسر فيه الآيات : (١٤٦) - (١٥٠).

الشريط رقم [٢٠] : وفسر فيه الآيات : (١٥٠) - (١٥١).

الشريط رقم [٢١] : وفسر فيه الآيات : (١٥١) - (١٥٢).

الشريط رقم [٢٢] : وفسر فيه الآيات : (١٥٥) - (١٥٨).

الشريط رقم [٢٣] : وفسر فيه الآيات : (١٥٨).

ثانياً : من سورة الأعراف :

الشريط رقم [١] : الآيات (١٢)، (٥٦) - (٥٧).

الشريط رقم [٢] : الآيات (٥٧) - (٥٩)، (٦٣) - (٦٤).

الشريط رقم [٣] : الآيات (٦٤) - (٦٥).

(٦٩) ـ (٧١).

(٧٣) ـ (٧٤).

الشريط رقم [٤] : الآيات (٧٤)، (٨٠) - (٨١)، (٨٦) - (٨٨).

الشريط رقم [٥] : الآيات (٩٠) - (٩٣)، (٩٦) - (٩٩).

الشريط رقم [٦] : الآيات (١٠٠) - (١٠١)، (١٠٣) - (١٠٥).

الشريط رقم [٧] : الآيات (١٠١) - (١٠٦)، (١١٥) - (١٢٤).

الشريط رقم [٨] : الآيات (١٢٤) - (١٢٩)، (١٣١)، (١٣٨) - (١٤٩).

الشريط رقم [٩] : الآيات (١٤١) - (١٤٤).

الشريط رقم [١٠] : الآيات (١٤٨) - (١٥٥).

الشريط رقم [١١] : الآيات (١٠٤)، (١٥٠)، (١٥٦) - (١٥٩).

الشريط رقم [١٢] : الآيات (١٥٩) - (١٦٣)، (١٦٨) - (١٦٩).

الشريط رقم [١٣] : الآيات (١٦٤)، (١٧٠) - (١٧٤).

الشريط رقم [١٤] : الآيات (١٧٥) - (١٨١).

الشريط رقم [١٥] : الآيات (١٨٢) - (١٨٨).

الشريط رقم [١٦] : الآيات (١٨٩) - (١٩٩).

الشريط رقم [١٧] : الآيات (٢٠٠) - (٢٠٥).

ثالثاً : من سورة الأنفال :

الشريط رقم [١] : الآيات (٧) - (١٣).

الشريط رقم [٢] : الآيات (٧) - (١٠)، (١٢) - (١٣).

: الآيات (٢٤) - (٢٩).

الشريط رقم [٣] : الآيات (٣٠) - (٤٠).

الشريط رقم [٤] : الآية (٤١).

الشريط رقم [٥] : الآيات (٤٢) - (٤٤).

الشريط رقم [٦] : الآيات (٤٥) - (٥٠).

الشريط رقم [٧] : الآيات (٥٠) - (٦٠).

الشريط رقم [٨] : الآيات (٦١) - (٧٠).

الشريط رقم [٩] : الآيات (٧١) - (٧٣).

رابعاً : من سورة التوبة :

الشريط رقم [١] : الآيات (١) - (٥).

الشريط رقم [٢] : الآيات (١٣) - (١٦).

الشريط رقم [٣] : الآيات (١٧) - (٢٥).

الشريط رقم [٤] : الآيات (٢٨) - (٣١).

الشريط رقم [٥] : الآيات (٣١) - (٣٥)، (٣٧).

الشريط رقم [٦] : الآيات (٣٨) - (٤٠).

الشريط رقم [٧] : الآيات (٤٠) - (٤٤)، (٥٤).

الشريط رقم [٨] : الآيات (٥٤) - (٦٣).

الشريط رقم [٩] : الآيات (٦٣) - (٦٧).

المبحث السادس

ثناء العلماء عليه

حدثني الشيخ محمد الأمين بن الحسين قائلاً : «إني لم أر أحداً من العلماء إلا وهو يثني على الشيخ الأمين رحمه الله» .

قال لي الشيخ محمد بن عبد الله بن آدُ : سألت الشيخ عبد الله ابن زاحم رحمه الله بعد مقابلته للشيخ الأمين عند مجيئه من بلاده ومحاورته عن العقيدة : كيف رأيت صاحبي؟ قال : لا نظير له، ولا مثيل له ؛ فنحن تأتينا وفود العلماء من كلّ جهة ؛ لأننا عند الحرمين، ولم أر كقدرة الشيخ محمد الأمين على الإلقاء، ومطاوعة قلبه ولسانه في اتجاه واحد، وحسن تعبيره عند أيّ أحد ممن رأيت من العلماء .

وقال الشيخ محمد بن عبد الله بن آدُ : إني حضرت عند كثير من العلماء في مصر والشام ومكة والمدينة وموريتانيا، فلم أر قطّ أحداً أعلم من الشيخ محمد الأمين لافي التفسير، ولا في اللغة العربية . وأكبر دليل على ذلك : أنه إذا أراد أن يتكلم في التفسير، وجاءت مسألة في التفسير، أو في الأصول أو التاريخ أو الأدب أو الحديث، وتكلم عليها يظنّ السامعون أنّ ذلك الحديث عن تلك المسألة - لخبرته وقوته في تلك المسألة التي يتكلم فيها- خارجاً عن التفسير، فكان رحمه الله يحفظ الأدب والشعر بشكل لا يتصور .

وكان الشيخ محمد المختار يترك درسه الذي يدرس فيه أيام تدريس الشيخ محمد الأمين في الحرم في رمضان، ويقول : أنا لا يمكن أن يفوتني درس الشيخ محمد الأمين؛ لعلمي أنه العالم الوحيد الباقي في هذه الدنيا .

وكذلك الشيخ عبد العزيز بن باز كان يجله أعظم الإجلال، وكذا الشيخ

محمد بن إبراهيم ؛ المفتي رحمه الله كان يثني عليه ثناء العلماء. ويكفي في ذلك ما قاله الشيخ محمد بن إبراهيم للملك عبد العزيز : إنّ هذا الرجل مفلوت من صحراء مستعمرة، ولو كان للإسلام في بلده دولة لما تركته يخرج ؛ لأنه من العلماء الأفذاذ»[1].

فكان رحمه الله محلّ الثناء من جميع العلماء في عصره.

وأخبرني د/ محمد الخضر الناجي قال : «رأيت شخصاً وقف أثناء تدريس الشيخ في الحرم، وقال : ما أظنّ مثل هذا موجوداً في العالم اليوم أبداً».

وكان يدرس معي في حلقة الشيخ أحد الطلاب الذين ينتمون إلى الطرق، وأهل الطرق يحملون عن الشيخ فكرة ليست طيبة، وبعضهم له موقف ضده. والحقّ ما شهدت به الأعداء : فكنا إذا خرجنا من حلقة الشيخ نبحث عن المراجع التي تحمل هذا الكلام الذي نسمعه في الدرس فلا نجد. فقال بعبارة واضحة : إنّ هذا الشيخ لا يوجد مثله الآن في العالم أبداً. الله أعلم هل يصح مقارنته بالأئمة الأربعة الأولين أم لا؟. وهو مع ذلك يحقد عليه، لأنه ضدّ الطريقة».

وأنقل هنا كلمة لأحد قضاة موريتانيا أثنى بها على الشيخ رحمه الله، بسبب توضيحه لعقيدة السلف في الصفات، وذلك عندما زار الشيخ رحمه الله موريتانيا على رأس بعثة الدعوة في إفريقيا عام (١٣٨٥هـ)، قال فيها : «. . . هذا وقد بعثت الخطبة التي خطب بها رئيس الوفد محمد الأمين بن محمد المختار في زيارته للعاصمة نواكشط روحاً قيمة في نفوس المجتمع الإسلامي عامة ، وفي نفوس الموريتانيين خاصة ؛ تلك الخطبة التي أزلتم بها الشكوك عن الدين بأوضح حجة، وأوضح براهين، مما لا يوقع شكاً

(١) نقلاً عن الشيخ محمد الأمين بن الحسين ، في المقابلة التي أجريتها معه.

بعد اليقين فلا شك ولا ريب أنّ من اعتقدها اعتقاداً جازماً مؤمناً بقوله تعالى : «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» لا يبقى في قلبه إشكال من عدم مماثلة الخالق بالمخلوق، ولا شك أنّ جميع الصفات من باب واحد ؛ لأنّ متعلقها واحد، وهو الذات المقدسة. ولله درّ العالم الأديب بابا ولد الشيخ سيدي يحيى :

واحذر التشبيه بالآيات ... وفي الأحاديث عن الثقات

وهي الصفات نصف الرحمن ... واجب بها الإيمان

إما على ظاهره نبقيها ... ونحذر التأويل والتشبيها

ومن تأول فقد تكلفا ... وغير ما به علم قفا

إلى آخر أبياته المشهورة. ولاشك أنّ أهل هذه البلاد تجاوزوا الحدّ وتنطعوا في أمر التأويل، وتكفيرهم لمن لم يقل به.

ويفرقون بين صفاته تعالى مجوزين التفويض في بعضها، ويوجبون التأويل في بعضها، وهذا غلط ظاهر، فلابدّ من وجوب التأويل في جميع الصفات، أو التفويض في جميع الصفات مما لا يليق به جلّ وعلا[1].

«أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» ، فالمتأول يكل المتشابه إلى علم الله مع التنزيه عن مشابهة الحوادث، ولكن كلّ صفة وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم يجب الإيمان بها على مراد الله بها مع التنزيه عن مماثلة الحوادث. وهذا هو معنى قوله تعالى: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

وأخيراً : ولا شك أن هذه الزيارة سيتزود منها العالم الإسلامي كثيراً من التعاليم والإرشادات القيمة التي سيكون لها أثرها الفعال في عقيدة المجتمع الإسلامي، والسير سيراً حثيثاً إلى الأمام، والتمسك بشريعة سيد الأنام.

---

(١) التأويل والتفويض في المعنى كلاهما غير صحيح. والحقّ الإثبات مع معرفة المعنى بدون تأويل.

وليست هذه الخطبة هي أول إرشاداتكم وتعليماتكم للمجتمع الإسلامي، فقد نفيتم إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، وفسرتم القرآن بالقرآن، بما لم يسبق إليه عالم في غابر الأزمان. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». (١)

وبهذا الثناء العاطر من معاصري الشيخ محمد الأمين رحمه الله تعالى تتضح لنا منزلته الرفيعة التي يتبوؤها هذ الإمام الجليل، وشخصيته الفذة التي حباه الله بها، فرحمه الله رحمة واسعة وغفر لنا وللمسلمين إنه جواد كريم.

(١) نقلاً عن شريط مسجل فيه بعض محاضرات الشيخ في موريتانيا، وأحداث هذه الرحلة مسجلة في ثمانية أشرطة موجودة في تسجيلات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وقد استوفى ترجمة الشيخ رحمه الله كلّ من :

تلميذه الشيخ عطية محمد سالم في مقدمته على أضواء البيان ١/ ٣ - ٦٤.

والشيخ محمد المجذوب في كتابه : علماء ومفكرون عرفتهم من ص ١٧١ - ١٩١.

والأخ الباحث عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، في رسالته الماجستير التي تحمل عنوان: منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان ص ١ - ٩٧.

والأخت الباحثة سميرة بنت صقر آل محمد، في رسالتها الماجستير التي تحمل عنوان : الشنقيطي ومنهجه في التفسير ص ٣٠ - ١١٧.

الباب الأول

جهود الشيخ الأمين - رحمه الله
في توضيح الإيمان بالله تعالى

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: توحيد الربوبية

الفصل الثاني: توحيد الألوهية

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الإيمان بالله تعالى هو الركن الأول من أركان الإيمان الستة .

لذا فإن معرفته وتحقيقه غاية كلّ مسلم، ومنتهى كلّ طالب للحقّ؛ لأنّ شرف العلم من شرف المعلوم .

فمعرفة الله وعبادته أشرف المطالب، وأعلى المقاصد، وبإخلاص العبادة وصوابها يكون العبد من أولياء الله تعالى ومن أهل دار كرامته، وممن تناله رحمته وهداه. ومن قصر في هذا الجانب العظيم كان ممن عرض نفسه لسخط الله تعالى ومقته، وحرمها من فضله وكرمه .

والله سبحانه و تعالى لما خلق الخلق لم يتركهم هملاً، بل أنزل إليهم الكتب، وأرسل الرسل يبلغونهم أوامر ربهم، ويدلونهم على طريق الرشاد .

وقد دلّ الله على نفسه، وعرّف خلقه بأسمائه وصفاته ووحدانيته وإلهيته، وأنه المتفرد بالعبودية كما أنه المتفرد بالربوبية .

ودعوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم جاءت لتقرير هذه العقيدة وترسيخها في قلوب العباد ، وأن يعملوا على تطبيقها والتمسك بها .

والقرآن الكريم من أوله إلى آخره متضمن لعقيدة التوحيد؛ إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله : فهو التوحيد العلمي الخبري .

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كلّ ما يعبد من دونه : فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره : فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن كرامته لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا ، وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحلّ بهم في العقبى من العذاب : فهو خبر عمّن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه[1].

والإيمان بالله تعالى لا يخرج عن ثلاثة أنواع :

الأول : توحيد الربوبية : وهو الإقرار بأن الله هو الرب الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

الثاني : توحيد الألوهية : وهو الإقرار بأن الله هو الإله المستحق للعبادة وحده، وكلّ معبود سواه باطلٌ.

الثالث : توحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل ولا تكييف.

وقد قرر الشيخ الأمين رحمه الله - الذي أفرد هذا البحث لبيان جهوده في تقرير عقيدة السلف- هذا التقسيم ؛ حيث قال :

---

(١) بتصرف من كلام ابن القيم في مدارج السالكين ٣/ ٤٥٠.

«دل استقراء القرآن العظيم على أنّ التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : توحيده في ربوبيته ؛ وهذا النوع جبلت عليه فطر العقلاء .

الثاني : توحيده جلّ وعلا في عبادته . وضابط هذا النوع من التوحيد هو : تحقيق معنى «لا إله إلا الله» ، وهي متركبة من نفي وإثبات .

الثالث : توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته[1] .

وهذا التقسيم ليس بدعاً من الشيخ - رحمه الله - ، بل له في ذلك سلف ؛ فقد ذكره قبله بآماد طويلة أئمة أجلاء في كتبهم ؛ من أمثال الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن منده[2] رحمه الله في كتابه التوحيد ؛ فقد ابتدأه رحمه الله بوحدانية الله تعالى في ربوبيته مستدلاً بذلك على توحيده تعالى في العبادة ، ثم ثنى بتوحيد الألوهية ؛ وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، ثم ثلّث بتوحيد أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا[3] .

وممّن أورد هذا التقسيم ، وأشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية [4] ، وابن

---

(١) أضواء البيان ٣/ ٤١٠ ، ٤١١ . وانظر : المعين والزاد ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، أبو عبد الله . محدث الإسلام . كان من أوسع العلماء رحلة وأكثرهم حديثاً وشيوخاً ولد سنة (٣١٠ ، أو ٣١١هـ) بأصبهان ، وتوفي سنة ٣٩٥هـ) .

(انظر : طبقات الحنابلة ٢/ ١٦٧ . وسير أعلام النبلاء ١١/ ٧ - ١٠ . والبداية والنهاية ١١/ ٣٣٦) .

(٣) انظر مقدمة تحقيق كتاب التوحيد لابن منده ، لفضيلة الدكتور علي ناصر الفقيهي ص ٣٣ .

(٤) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني . ولد رحمه الله بحران سنة (٦٦١هـ) ، وتوفي في سجن القلعة بدمشق سنة (٧٢٨هـ) .

(انظر : تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٦ . والبداية والنهاية ١٤/ ١٣٢ وقد أورد هذا التقسيم في العقيدة التدمرية ص ٤ - ٥ .

قيم الجوزية[1]، وابن أبي العزّ الحنفي[2]، والمقريزي[3].

فتقسيم الشيخ الأمين - رحمه الله - مطابق لدلالة القرآن على التوحيد[4] كما فهمه السلف - رحمهم الله.

وإن كان بعضهم قد جعله قسمين؛ فضم توحيد الربوبية والأسماء والصفات في قسم، وسماه التوحيد العلمي، وجعل توحيد الألوهية قسماً مستقلاً، وسماه التوحيد العملي[5].

---

(١) الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية الزرعي الدمشقي. ولد بدمشق سنة (٦٩١هـ)، وتوفي بها سنة (٧٥١هـ). وقد لازم شيخ الإسلام ابن تيمية وسجن معه في القلعة.

(انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٢٤٦. وشذرات الذهب ٦/ ١٦٨). وأورد هذا التقسيم في كتابه مدارج السالكين ١/ ٢٤ - ٢٥.

(٢) صدر الدين محمد بن علاء الدين؛ علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي. ولد سنة (٧٣١هـ)، وولي قضاء دمشق ومصر وتوفي رحمه الله بدمشق سنة (٧٩٢هـ).

(انظر: شذرات الذهب ٦/ ٣٢٦).

وقد أورد هذا التقسيم في شرحه للعقيدة الطحاوية ص ٨٨.

(٣) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن تميم المقريزي الحنفي. الإمام المؤرخ. نشأ بالقاهرة وتوفي بها سنة ٨٤٥هـ.

(انظر: الضوء اللامع ٢/ ٢١).

وأورد هذا التقسيم في كتابه تجريد التوحيد ص ٤-٥.

(٤) قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم. وقرره الزبيدي (في تاج العروس)، وشيخنا الشنقيطي (في أضواء البيان)، وآخرين، رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن؛ كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى (اسم وفعل وحرف). والعرب لم تفُه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب. وهكذا في أنواع الاستقراء». (التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ص٣٠).

وقد أورد الطبري رحمه الله هذا التقسيم في تفسيره (١١/ ٦٠)، وأورده الزبيدي في تاج العروس (٢/ ٥٢٨). وممن قال به: صديق حسن خان في كتابه الدين الخالص (١/ ٥٦).

(٥) انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٥).

وهذا التقسيم قد احتوى على المراد، ولا يتعارض مع تقسيم من جعله ثلاثة أقسام، أو أربعة [1] : فهي بمعنى واحد، ولأن الكل قرروا أن توحيد الألوهية هو معنى «لا إله إلا الله»، وقالوا بأن تحقيقه يمنع من دخول النار.

وبذلك نستنتج أنّ الشيخ - رحمه الله - لم يرتض تقسيم المتكلمين [2] : لأنهم يخالفون دلالة القرآن على التوحيد، وغاية ما يصلون إليه : توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون.

وقد ردّ عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية [3] رحمه الله، وبين عدم جدوى هذا التقسيم الذي لا يفرق بين مؤمن ومشرك.

ومن المناسب هنا أن أذكر ما أخبرنيه الدكتور عبد الله بن الشيخ الأمين- رحمه الله- أنّ والده كان يقول له : «يا ولدي اعلم أن التوحيد ينقسم ثلاثة أقسام، وأن هذه القسمة استقرائية والاستقراء: هو تتبع النصوص ؛ كما أن النحو علم بالاستقراء بتتبع لغة العرب ؛ إما اسم أو فعل أو حرف، فكذلك علمنا أقسام التوحيد من تتبع القرآن ؛ فالله تعالى قسم التوحيد ثلاثة أقسام في سورة الفاتحة ؛ فقال «الحمد لله» والله هو المعبود بحق، ﴿رب العالمين﴾ والرب هو الذي يربي الأشياء، وهذا توحيد الربوبية. ثم قال : ﴿الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين﴾، وهذا توحيد الأسماء والصفات. وقوله : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ دل على توحيد الألوهية. وتوحيد الألوهية أن تكون جميع أعمالك خالصة لله ؛ من صلاة وصيام وزكاة ونذر وخوف ورجاء وغير ذلك مما لا يجوز صرفه إلا لله. وتوحيد الربوبية : ما يكون في

---

(١) انظر مقدمة تحقيق كتاب التوحيد لابن منده ١/ ٣٣

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٤٢. فقد جعل التوحيد عندهم ثلاثة أقسام: واحد في ذاته لاقيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظيرله ، وواحد في أفعاله لا شريك له.

(٣) كما في التدمرية ص ١٧٩ - ١٨٤ .

الكون فهو صادر عن الله تعالى . وتوحيد الألوهية شكر على توحيد الربوبية ؛ لأن الله ربك فتشكره بأن تكون أعمالك خالصة له ولا تشارك غيره بها . أما توحيد الأسماء والصفات فهو مبنيّ على ثلاثة أسس : الأول : تصديق الله فيما قال . الثاني : تنزيه الله عن مشابهة خلقه . الثالث : قطع الطمع عن إدراك الكيفية .

الفصل الأول

توحيد الربوبية

الفصل الأول

توحيد الربوبية

تعريفه :

هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء، ومالكه وخالقه، ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار [١].

ولم أجد للشيخ الأمين - رحمه الله - تعريفاً لهذا النوع، وإنما مفاد كلامه أن الإقرار بتوحيد الربوبية أمر فطري ؛ فطر الله عليه الخلق وتعرفه النفوس ؛ حيث يقول - رحمه الله - : « هذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء ؛ قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ الآية [٢] ، وقال : ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ [٣][٤] .

فالشيخ - رحمه الله - يؤكد أن القلوب مفطورة على هذا النوع من التوحيد، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أفي الله شك﴾ [٥] وقوله صلى الله عليه وسلم : «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه . . »[٦] .

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص٣٣ .

(٢) سورة الزخرف، الآية [٧٨]

(٣) سورة يونس، الآية [٣١].

(٤) أضواء البيان ٣/ ٤١٠ . وانظر : المعين والزاد ص٦٤ .

(٥) سورة إبراهيم، الآية [١٠].

(٦) أخرجه البخاري ٢/ ٩٧ . ومسلم ٤/ ٢٠٤٧ .

فالنفوس البشرية فطرت على هذا النوع من التوحيد، لكن لما وردت عليها المؤثرات الخارجية من الشهوات والشبهات خالفت فطرتها السليمة التي جبلها الله عليها.

وقد أوضح الشيخ - رحمه الله - أنّ إنكار هذا النوع من التوحيد إنما هو عناد ومكابرة من عارف؛ فقال رحمه الله: «أما تجاهل فرعون - لعنه الله - لربوبيته جلّ وعلا في قوله: ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾[1] فإنه تجاهل عارف؛ لأنه عبدٌ مربوب؛ كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ الآية[2]، وقوله: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا﴾[3][4].

وأكد - رحمه الله - أن الإتيان بهذا النوع من التوحيد لا يفيد إلا إذا ضم إليه توحيد الألوهية؛ فكفار مكة لم ينفعهم الإقرار بالربوبية، حيث إنهم أشركوا في الألوهية: فقال رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت﴾ . . إلى قوله ﴿فقل أفلا تتقون﴾[5] -: صرح الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الكفار يقرون بأنه جل وعلا هو ربهم الرازق المدبر للأمور، المتصرف في ملكه بما يشاء. وهو صريح في اعترافهم بربوبيته، ومع هذا أشركوا به جل وعلا، والآيات الدالة على أن المشركين مقرون بربوبيته جل وعلا - ولم ينفعهم ذلك لإشراكهم معه غيره في حقوقه جل

---

(١) سورة الشعراء، الآية [٢٣].

(٢) سورة الإسراء، الآية [١٠٢].

(٣) سورة النمل، الآية [١٤].

(٤) أضواء البيان ٢/ ٤٨٢. وانظر: المصدر نفسه ٣/ ٤١٠، ٦/ ٣٧٤، والمعين والزاد ص٦٥.

(٥) سورة يونس، الآية [٣١].

وعلا - كثيرة ؛ كقوله : ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ [1] وقوله : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾[2]، وقوله : ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله﴾ إلى قوله : ﴿فأنى تسحرون﴾ [3] إلى غير ذلك من الآيات، ولذا قال تعالى : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾[4] . والآيات المذكورة صريحة في أن الاعتراف بربوبيته جل وعلا ، لا يكفي في الدخول في دين الإسلام إلا بتحقيق معنى «لا إله إلا الله» نفياً وإثباتاً . [5]

ثم يؤكد - رحمه الله - أن الآيات الدالة على توحيد الربوبية إنما هي إلزام للمشركين أن يوحدوه في العبادة، وأن لا يصرفوا شيئاً منها لغيره؛ حيث يقول رحمه الله : ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته، ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده، ووبخهم منكراً عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده؛ لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده[6] .

ثم استدل رحمه الله بآيات كثيرة على إقرار الكفار بربوبية الله سبحانه و تعالى ، وتوبيخ الله لهم بعد إقرارهم على شركهم في الألوهية ؛ فقال رحمه الله : «ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار﴾ إلى قوله ﴿فسيقولون الله﴾، فلما

(١) سورة الزخرف، الآية [٨٧].

(٢) سورة الزخرف، الآية [٩].

(٣) سورة المؤمنون، الآيات [٨٤ - ٨٩].

(٤) سورة يوسف، الآية [١٠٦].

(٥) أضواء البيان ٢/ ٤٨١، ٤٨٢ . وانظر : المصدر نفسه ٣/ ٧٤، ٧٥، ٤١٠، والمعين والزاد ص٦٥ .

(٦) أضواء البيان ٣/ ٤١١ . وانظر : المصدر نفسه ٥/ ٨١٣، ٦/ ٦٢٠ .

أقروا بربوبيته وبّخهم منكراً عليهم شركهم به غيره بقوله: ﴿فقل أفلا تتقون﴾ (١).

ومنها قوله تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون* سيقولون لله﴾. فلما اعترفوا وبّخهم منكراً عليهم شركهم بقوله ﴿قل أفلا تذكرون﴾. ثم قال: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله﴾، فلما أقروا وبخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿قل أفلا تتقون﴾. ثم قال: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله﴾، فلما أقروا وبخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿قل فأنى تسحرون»﴾(٢). ومنها قوله تعالى: ﴿قل من رب السموات والأرض قل الله﴾، فلما صحّ الاعتراف وبخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً﴾(٣)(٤).

إلى غير ذلك من الآيات التي استدل بها رحمه الله على إقرار الكفار بتوحيد الربوبية، وإلزام الله سبحانه و تعالى لهم أن يوحدوه بالعبادة.

ثمّ يؤكّد - رحمه الله - أنّ الاستفهامات التي في آيات الربوبية استفهامات تقرير، وليست إنكار؛ فيقول رحمه الله:

«إن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة: نحو قوله تعالى: ﴿أفي الله شك﴾(٥)،

---

(١) سورة يونس، الآية [٣١]

(٢) سورة المؤمنون، الآيات [٨٤ - ٨٨].

(٣) سورة الرعد، الآية [١٦].

(٤) سورة إبراهيم، الآية [١٠].

(٥) أضواء البيان ٣/ ٤١١-٤١٢.

وقوله : ﴿قل أغير الله أبغي رباً﴾[1] . وإن زعم بعض العلماء [2] أن هذا استفهام إنكار، لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار ؛ لأنهم لا ينكرون الربوبية كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه»[3] .

ولا شك أن القوم لم يعرف عنهم إنكارهم للربوبية ، وإنما كان انحرافهم في جانب الألوهية ؛ وهو الانحراف الذي بعثت الرسل جميعها لتقويمه .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : «والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فاحتجّ الله عليهم به ؛ فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية»[4] .

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله عن توحيد الربوبية : «وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ؛ كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾[5][6] .

فلذلك لم يطل الشيخ رحمه الله الكلام على توحيد الربوبية بل نراه [7] استدل بدلائل توحيد الربوبية ؛ والتي هي الآيات الكونية على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة .

---

(١) سورة الأنعام، الآية [١٦٤].

(٢) أنظر : فتح القدير ٢/ ١٨٦ . وتفسير المنار ٨/ ٢٤٥ .

(٣) أضواء البيان ٣/ ٤١٤ .

(٤) إغاثة اللهفان ٢/ ١٣٥ .

(٥) سورة إبراهيم ، الآية [١٠] .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية صـ٧٧ .

(٧) كما سيأتي في الفصل الثاني : (في المطلب الثاني من المبحث الثاني) .

فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية الذي هو الغاية من خلق العباد، وترتيب الثواب والعقاب. وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ إذ لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر إلا عند المكابرة، والجحود والإنكار.

الفصل الثاني

توحيد الألوهية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول

تعريف التوحيد

المبحث الثاني

براهين التوحيد

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : دلالة الصفات على توحيد الألوهية

المطلب الثاني : البراهين الكونية

المطلب الثالث : بطلان إلهية ما سوى الله

المبحث الثالث

أنواع العبادة

وفيه تمهيد، وخمسة مطالب :

المطلب الأول : الدعاء

المطلب الثاني : التوكل

المطلب الثالث : الولاء والبراء

المطلب الرابع : الخوف والرجاء

المطلب الخامس : الحكم بما أنزل الله

المبحث الرابع

ما يضاد إخلاص العبادة وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : الشرك بالله

المطلب الثاني : الذبح لغير الله

المطلب الثالث : ادعاء علم الغيب

المطلب الرابع : الحلف بغير الله

المطلب الخامس : السحر

المطلب السادس : البناء على القبور

المبحث الأول

تعريف توحيد الألوهية

هو أعظم أنواع التوحيد، وأشرفها. وهو متضمن لتوحيد الربوبية، فمن حقق توحيد الألوهية فقد أتى بالتوحيد الذي أراد الله من عباده، واستمسك بحبل الله المتين ؛ لأنه المقصد الأعظم من بعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ومحور دعوتهم جميعاً.

وقد حرص الشيخ رحمه الله على مسلك السلف في تعريف هذا النوع من أنواع التوحيد، وإبراز أهميته. ووضح أنه هو معنى «لا إله إلا الله» ؛ تلك الكلمة الخالدة التي دعا إليها كلّ نبيّ أمته، وحذرهم من مخالفتها.

وعرف الشيخ - رحمه الله - توحيد الألوهية، وحدد ضابطه ؛ عرفه بأنه: «توحيده جلّ وعلا في عبادته»، وحدد ضابطه بقوله «وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى «لا إله إلا الله» ؛ وهي مركبة من نفي وإثبات ؛ فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات بإخلاص على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام» (١).

وقد أورد - رحمه الله - الأدلة من القرآن الكريم على تعريفه لهذا النوع من التوحيد ؛ فقال: «وأكثر آيات القرآن الكريم من هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم ﴿أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾ (٢). ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد: قوله

(١) أضواء البيان ٣/ ٤١٠.

(٢) سورة ص، الآية [٥]

تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ الآية [1] ، وقوله : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [2] ، وقوله : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [3] وقوله : ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ [4] وقوله: ﴿ قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ [5] : فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول : أن ما أوحي إليه محصور في هذا النوع من التوحيد ؛ لشمول كلمة «لا إله إلا الله» لجميع ما جاء في الكتب ؛ لأنها تقتضي طاعة الله بعبادته وحده، فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب. والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة»[6].

وعرف الشيخ - رحمه الله توحيد الألوهية في موضع آخر بقوله: «إن توحيد الألوهية هو معنى كلمة «لا إله إلا الله»، وهي بلا شك متضمنة لجميع الشرائع، فيدخل في ذلك فعل كلّ واجب وغيره ؛ كالمندوب، وترك كلّ محرم وغيره ؛ كالمكروه»[7].

ويقول عن هذا التوحيد في موضع آخر زيادة في الإيضاح : «إن الركن الأكبر الذي هو توحيد الله بأنواعه، المستلزم إفراده بالعبادة وحده هو منتهى التحرر من الرق والعبودية للمخلوقين؛ ومن جملتهم النفس والهوى

(١) سورة محمد ، الآية [١٩].

(٢) سورة النحل، الآية [٣٦].

(٣) سورة الأنبياء، الآية [٢٥].

(٤) سورة الزخرف، الآية [٤٥].

(٥) سورة الأنبياء، الآية [١٠٨].

(٦) أضواء البيان ٣/ ٤١٠، ٤١١ .

(٧) معارج الصعود ص٤٠ .

والشيطان - كفانا الله وإخواننا المسلمين شر ذلك كله والهوى والشيطان -»[1].

فالشيخ - رحمه الله - اعتنى بهذا التوحيد، شأنه شأن العلماء المحققين السائرين على منهج السلف الصالح الذين فهموا دعوة الرسل وحقيقة التوحيد، وأنها إفراد الله بكل أنواع العبادة، والكفر بكل ما يعبد من دون الله، والتمييز بين حقوق الله الخاصة به سبحانه، وبين حقوق خلقه.

وللتدليل على أن الشيخ رحمه الله لم يخرج عن منهاج السلف، بل اقتفى أثرهم في الاعتناء بهذا النوع من أنواع التوحيد أذكر تعريفاً واحداً من تعاريف السلف لهذا التوحيد؛ يقول الإمام ابن تيمية[2] رحمه الله: (فإنّ حقيقة التوحيد: أن نعبد الله وحده، فلا يدعى إلا هو، ولا يُخشى إلا هو، ولا يُتقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم»[3].

ويلاحظ التوافق بين هذا التعريف، وتعريف الشيخ رحمه الله، بل السلف كلهم على هذا التعريف.

ولم يقتصر اعتناء الشيخ رحمه الله بهذا النوع من أنواع التوحيد على مجرد ذكره وتبيين أهميته في كتبه، بل نراه لا يدع مناسبة إلا ويحرص على التدليل على أهميته، وتبيين أنه أصل الدين وأساسه؛ يقول في محاضرة ألقاها في المسجد النبوي متحدثاً عن هذا النوع العظيم من أنواع التوحيد: «توحيده جلّ وعلا في عبادته هو الذي فيه جميع المعارك بين الرسل والأمم،

(١) منهج التشريع الإسلامي صـ١١.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) منهاج السنة النبوية ٣/ ٤٩٠.

وهو الذي أرسلت لتحقيقه، وحاصله هو معنى «لا إله إلا الله» ؛ فهو مبني على أصلين هما النفي والإثبات في «لا إله إلا الله». فمعنى النفي منها : خلع جميع أنواع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادة كائنة ما كانت. ومعنى الإثبات منها : هو إفراده جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادة على الوجه الذي شرع أن يعبد به. وجلّ القرآن في هذا النوع : ﴿ولقد بعثنا في كلّ أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[1]، ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[2]. ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾[3]. ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾[4]، ﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾[5]. والآيات في هذا كثيرة جداً[6].

ونراه رحمه الله أثناء مروره بـ«أم درمان» متجهاً إلى الديار المقدسة يُسأل عن قصة الغرانيق[7]، فيوضحها، ويتكلم عن إخلاص العبادة لله تعالى فيقول : «فإخلاص العبادة لله وحده هو دعوة عامة الرسل، وأشدهم فيه احتياطاً خاتمهم صلى الله عليه وسلم، ولذا منع بعض الأمور التي كانت مباحة عندهم احتياطا في توحيد الله في عبادته جلّ وعلا ؛ فالسجود

(١) سورة النحل، الآية [٣٦].
(٢) سورة الأنبياء، الآية [٢٥].
(٣) سورة البقرة، الآية [٢٥٦].
(٤) سورة الزخرف، الآية [٤٥].
(٥) سورة الأنبياء، الآية [١٠٨].
(٦) المعين والزاد ص ٦٥.
(٧) تتلخص قصة الغرانيق فيما يأتي : ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم بمكة، فلما بلغ :

لمخلوق في شريعته السمحة كفر بالله تعالى، مع أنه كان جائزاً في شرع غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ كما قال تعالى عن يعقوب وأولاده في سجودهم ليوسف : ﴿وخروا له سجداً﴾ (١)، ولذلك أمر نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس أنه ما أوحي إليه إلا توحيد الله تعالى في عبادته في قوله : ﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ (٢) . وقد تقرر عند الأصوليين والبيانيين أنّ لفظ «إنما» من أدوات الحصر، فدلت الآية على حصر الموحى إليه صلى الله عليه وسلم في أصله الأعظم الذي هو «لا إله إلا الله»؛ لأنها دعوة جميع الرسل، وغيرها من شرائع الإسلام وفروعها التابعة لها. ولهذا صار مكذب رسول واحد مكذبا لجميع الرسل؛ لأنّ دعوتهم واحدة؛ قال تعالى : ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ (٣)؛ أي بتكذيبهم نوحاً. ﴿كذبت عاد المرسلين﴾(٤) ؛ أي بتكذيبهم هودا .

« أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى» ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فلما بلغ السجدة سجد، فسجد معه المسلمون والمشركون.

وقد رجح الشيخ الشنقيطي رحمه الله عدم صحتها، وعضّد قوله بأقوال عدد كبير من العلماء الذين أنكروها.

(انظر : رحلة الحج صـ١٢٨ - ١٣٠. وكذا : دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - الملحق بأضواء البيان ١٠/ ٢٠٧ - ٢١٢-).

(١) سورة يوسف، الآية [١٠٠].

(٢) سورة الأنبياء، . الآية [١٠٨].

(٣) سورة الشعراء، الآية [١٠٥].

(٤) سورة الشعراء، الآية [١٢٣].

﴿كذبت قوم لوط المرسلين﴾ [1] ؛ أي بتكذيبهم لوطاً. ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ [2] ؛ أي بتكذيبهم شعيباً. فهذه الآيات تدل على أن مكذب رسول واحد مكذب لجميع الرسل؛ وذلك لاتحاد دعوتهم، وهي مضمون لا إله إلا الله»[3].

وسيأتي مزيد بيان لهذا الموضوع.

والمقصود أن الشيخ رحمه الله لم يترك مناسبة تمرّ إلا وأفاض فيها في الكلام عن توحيد الألوهية، وأنه دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام، وأنّ الله سبحانه وتعالى ما خلق الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب إلا ليعبد ولا يشرك معه شيء.

ونراه كذلك - رحمه الله - يسترسل في ذكر الأدلة الصريحة من القرآن الكريم الدالة على شأن العبادة وعظمها ؛ فيقول «والآيات الدالة على أن إرسال الرسل وإنزال الكتب لأجل أن يعبد الله وحده كثيرة جداً ؛ كقوله : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [4] ، وقوله : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[5]، وقوله: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ [6]، وغير ذلك من الآيات»[7].

والشيخ رحمه الله قد أوضح أن توحيد الألوهية هو معنى «لا إله إلا الله» التي من أجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب.

---

(١) سورة الشعراء، الآية [١٦٠].
(٢) سورة الشعراء، الآية [١٧٦].
(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام صـ١٣٤.
(٤) سورة النحل، الآية [٣٦].
(٥) سورة الأنبياء، الآية [٢٥].
(٦) سورة الزخرف، الآية [٤٥].
(٧) أضواء البيان ٣/ ٨.

وببيان معنى هذه الكلمة العظيمة تكتمل الفائدة ببيان تعريف توحيد الألوهية.

معنى «لا إله إلا الله»

«لا إله إلا الله» كلمة التوحيد التي من حققها دخل الجنة، وكان من الآمنين يوم القيامة. وهي أصل الدين، ودعوة جميع الأنبياء والمرسلين؛ من لدن نوح عليه السلام، وحتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كلّ منهم يقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً.

ولأهمية هذه الكلمة وعظمها قال عنها الإمام ابن القيم[1] رحمه الله: «كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه. ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار. وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار. فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد. وهي حق الله على جميع العباد؛ فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام. وعنها يسأل الأولون والآخرون. فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟، وماذا أجبتم المرسلين؟. فجواب الأولى بتحقيق «لا إله إلا الله» معرفة وإقراراً وعملاً. وجواب الثانية بتحقيق «أن محمداً رسول الله» معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة»[2].

وقد سلك الشيخ رحمه الله مسلك السلف في تفسير معنى «لا إله إلا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) زاد المعاد ١ / ١٣٤.

الله» فقال : «إن معناها : لا معبود بحق إلا الله»[1].

وهذا هو التفسير الصحيح الذي ارتضاه السلف الصالح رحمهم الله ؛ يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[2] رحمهم الله : «ومعنى لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له ؛ كما قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[3]، مع قوله تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[4] ، فصح أن معنى الإله : هو المعبود. ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكفار قريش : «قولوا لا إله إلا الله» قالوا : ﴿أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾[5]. وقال قوم هود : ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾[6]، وهو إنما دعاهم إلى «لا إله إلا الله». فهذا هو معنى «لا إله إلا الله»، وهو : عبادة الله، وترك عبادة ما سواه؛ وهو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله»[7].

ولم يقتصر الشيخ الأمين - رحمه الله - على التعريف السابق بل زاد معنى «لا إله إلا الله» توضيحاً بذكر ما اشتملت عليه من نفي وإثبات، وببيان أن الدين الإسلامي قائم على هذه الكلمة ؛ فقال عند تفسيره لقوله

(١) انظر : أضواء البيان ٤/ ٥٠٨، ٦/ ٢٧٣. ومعارج الصعود ص ١٤٣.

(٢) هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. من أئمة الدعوة المجاهدين. ولد في الدرعية سنة (١٢٠٠هـ). كان قاضياً على مكة المكرمة في عهد الدولة السعودية الأولى. مات مقتولاً في الدرعية عام (١٢٣٣هـ) عندما هاجمها إبراهيم باشا.
(انظر : علماء نجد خلال ستة قرون ١/ ٢٩٣. والأعلام ٣/ ١٢٣).

(٣) سورة الأنبياء، الآية [٢٥].

(٤) سورة النحل، الآية [٣٦].

(٥) سورة ص. الآية [٥].

(٦) سورة الأعراف، الآية [٧٠].

(٧) تيسير العزيز الحميد صـ٧٣ .

تعالى : ﴿قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾[1]: «إن حصر الوحي في آية الأنبياء هذه في توحيد العبادة حصر له في أصله الأعظم الذي يرجع إليه جميع الفروع ؛ لأن شرائع الأنبياء كلهم داخلة في ضمن معنى «لا إله إلا الله» ؛ لأن معناها خلع جميع المعبودات غير الله جل وعلا في جميع أنواع العبادات ، وإفراده جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات ؛ فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية والاعتقادية»[2] .

ويقول رحمه الله في موضع آخر : « وقد حصر الله جل وعلا الوحي كله في هذه الكلمة ؛ حيث قال : ﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ [3] ؛ وذلك أنها تحتوي على مضمون كلّ الكتب السماوية والشرائع الإلهية ، وتشملها ؛ لأنها مركبة من نفي كل الآلهة - غير الله - ، ونفي عبادتها ، وإثبات كلّ العبادات لله وحده ، ففيها يدخل كلّ تقرب إلى الله تعالى من عقائد وأعمال ، ولهذا قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»[4] . فكل التكليفات والحقوق مندرجة تحت هذه الكلمة ، ولهذا قال نبي الله هود : «اعبدوا الله» ؛ أي تقربوا إليه وحده بما أمركم بالتقرب به إليه من العبادات على وجه الخضوع والذلّ والمحبة ، فلا تكفي المحبة دون الخضوع والذلّ ؛ لأنها قد تكون طبيعية ، ولا يكفي مجرد الخضوع والذلّ ؛ لأنه قد يكون خاضعاً لمن يبغضه ، تحت قهره وسلطانه ، وباجتماع ذلك يحصل كمال العبودية لله»[5] .

(١) سورة الأنبياء ، الآية [١٠٨] .
(٢) أضواء البيان ٣/ ٨ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية [١٠٨] .
(٤) أخرجه مسلم ١/ ٥٣ .
(٥) معارج الصعود صـ١٣٦ . وانظر المصدر نفسه ص٢٠٤ .

وبهذا يتضح اهتمام الشيخ رحمه الله بمعنى «لا إله إلا الله». واقتداؤه في تفسيرها بسلف هذه الأمة، وسلوكه مسلكهم من حيث إيضاح معناها غاية الإيضاح. وبيان أنها قاعدة الدين، ومنتهى غاية المؤمنين.

وقد كرر رحمه الله نحو هذا الكلام في عدة مواضع من كتابه أضواء البيان[1]. وفي غيره من كتبه[2].

وأذكر هنا من أقوال السلف ما يعضد فهم الشيخ رحمه الله لمعنى «لا إله إلا الله» المشتملة على النفي والإثبات:

فمن ذلك: قول شيخ الإسلام ابن تيمية[3] رحمه الله بعد كلامه على إخلاص العبادة لله: «وذلك تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها تنفي عن قلبه ألوهية ما سوى الحق، وتثبت في قلبه ألوهية الحق، فيكون نافياً لألوهية كل شيء من المخلوقات، مثبتاً لألوهية رب العالمين، ورب الأرض والسماوات. وذلك يتضمن اجتماع القلب على الله وعلى مفارقة ما سواه؛ فيكون مفرقا - في علمه وقصده، في شهادته وإرادته، في معرفته ومحبته - بين الخالق والمخلوق؛ بحيث يكون عالماً بالله تعالى، ذاكرا له، عارفاً به. وهو مع ذلك عالم بمباينته لخلقه، وانفراده عنهم، وتوحده دونهم، ويكون محباً لله، معظماً له، عابداً له، راجياً له، خائفاً منه، محباً فيه، موالياً فيه، معادياً فيه، مستعيناً به، متوكلاً عليه، ممتنعاً عن عبادة غيره، والتوكل عليه، والاستعانة به، والخوف منه، والرجاء له، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والطاعة لأمره، وأمثال ذلك مما هو من خصائص إلهيته

(١) انظر: أضواء البيان ١/ ١٠٣، ٢/ ٤٧، ٣/ ٢٠٥، ٢٦٧.

(٢) انظر: تفسير سورة النور - جمع د/ عبد الله القادري - صـ١٩٧.
ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - الملحق بأضواء البيان ١٠/ ٢٠٤، ٢٢٥.

(٣) تقدمت ترجمته صـ١٠٦.

سبحانه وتعالى»[1].

ومن أقوال العلماء الذين اشتهر عنهم تمسكهم بمنهج السلف في مسائل العقيدة، واهتمامهم بهذا النوع من التوحيد خاصة ؛ أذكر قول الإمام محمد بن عبد الوهاب[2] رحمه الله في معنى «لا إله إلا الله» مؤيداً بذلك كلام الشيخ الأمين رحمه الله في هذا المعنى يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : «فإن هذه الكلمة «لا إله إلا الله» نفي وإثبات ؛ نفي الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المخلوقات، حتى من المرسلين البشر وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، وحتى من الملائكة وجبريل عليهم وعلى جميع المرسلين الصلاة والسلام، فضلاً عن غيرهم من الأنبياء والصالحين وسائر المخلوقات ؛ وإثباتها بجميع أنواعها كلها لله عز وجلّ وحده لا شريك له». [3]

والخلاصة : أنّ الشيخ الأمين - رحمه الله - يرى أن معنى «لا إله إلا الله» لا يقتصر على النطق بها، بل يجب تحقيق لوازمها، مع ترك ما يناقضها ؛ فالجهل بمعناها جهل بالدين لا ينجي من الخلود في النار، فإنّ «لا إله إلا الله» هي معنى توحيد الألوهية ؛ الذي هو دعوة الرسل جميعاً.

---

(١) العبودية صـ١٥٦ . وانظر شرح العقيدة الطحاوية صـ١١١ .

(٢) هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي الوهيبي التميمي، مجدد الدعوة في الجزيرة العربية. ولد في العيينة سنة (١١١٥هـ)، وتوفي في الدرعية سنة (١٢٠٦هـ).
(انظر : علماء نجد ١/ ٢٥).

(٣) مؤلفات الشيخ/ القسم الأول - العقيدة : تفسير كلمة التوحيد - صـ٣٦٣، ٣٦٤ .

المبحث الثاني

براهين التوحيد

توحيد الألوهية هو غاية دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والحكمة من خلق الخلق، ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب إفراد الله بالعبادة، وأنه وحده المستحق أن يعبد ويعظم.

والأدلة على ألوهية الله سبحانه وتعالى واستحقاقه للعبادة هي أيضاً دلائل على ربوبيته، وأسمائه وصفاته ؛ لأن توحيد الألوهية - كما مرّ - متضمن لتوحيد الربوبية، فمن أتى به فقد جاء بالتوحيد المطلوب المنجي من دخول النار، المقتضي دخول الجنة.

وقد اهتم الشيخ الأمين - رحمه الله - بهذه البراهين ، فأورد في تفسيره نصوصاً كثيرة من القرآن الكريم، وذكر أنها تدل على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة دون سواه، وهذه النصوص منها ما هو في صفاته سبحانه وتعالى الدالة على ألوهيته وعظمته.

ومنها ما هو في آياته المنزلة والمخلوقة. وقد ذكرها في مواضع بالإجمال، وفي أخرى بالتفصيل، وسوف أوردها مجملة، ثم أفصل كل دليل على حدة مسترشداً بكلام الشيخ رحمه الله على فهم هذه البراهين.

المطلب الأول

دلالة الصفات على توحيد الألوهية

ذكر الشيخ الأمين -رحمه الله - بعض الصفات الدالة على ألوهية الله سبحانه، واستحقاقه للعبادة؛ فمنها : صفة الملك ، وصفة الوحدانية، وصفة الألوهية، وصفة الخلق، وصفة القدرة.

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كلّ شيء فقدره تقديراً﴾[1]. قال رحمه الله : «وقد أثنى - جل وعلا- على نفسه في هذه الآية الكريمة بخمسة أمور، هي أدلة قاطعة على عظمته واستحقاقه وحده لإخلاص العبادة له :

الأول منها: أنه هو الذي له ملك السموات والأرض.

والثاني: أنه لم يتخذ ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

والثالث: أنه لا شريك له في ملكه.

والرابع: أنه هو خالق كلّ شيء.

والخامس: أنه قدر كل شيء خلقه تقديراً.

وهذه الأمور الخمسة المذكورة في هذه الآية الكريمة جاءت موضحة في آيات كثيرة».

ثم سرد رحمه الله آيات كثيرة تدل على كل نوع من هذه الأمور

---

(١) سورة الفرقان، الآية [٢].

الخمسة، على طريقته رحمه الله في بيان القرآن بالقرآن فقال: «أما الأول منها: وهو أنه له ملك السموات والأرض فقد جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ الآية[1]، وقوله تعالى: ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ الآية[2]. وجميع الآيات التي ذكر فيها جل وعلا أن له الملك، فالملك فيها شامل لملك السموات والأرض وما بينهما، وغير ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾[3]... والآيات الدالة على أن له ملك كل شيء كثيرة جداً معلومة»[4].

والأمر الثاني -وهو كونه لم يتخذ ولداً- استدل له بقوله تعالى: ﴿لم يلد، ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحد﴾[5].

والأمر الثالث استدل له لقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾[7]؛ لأن قوله: «الواحد القهار» يدل على تفرده بالملك والقهر، واستحقاق إخلاص العبادة كما لا يخفي. إلى غير ذلك من الآيات.

واستدل الأمر الرابع - وهو كونه خالق كل شيء- بقوله تعالى: ﴿ذلكم

---

(١) سورة المائدة، الآية [٤٠].

(٢) سورة فاطر، الآية [١٣].

(٣) سورة آل عمران، الآية [٢٦].

(٤) أضواء البيان ٦/ ٢٦٥.

(٥) سورة الإخلاص، الآيتان [٣ - ٤].

(٦) سورة سبأ، الآية [٢٢].

(٧) سورة غافر، الآية [١٦].

الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون * كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ [1]، إلى غير ذلك من الآيات.

واستدل للأمر الخامس - وهو كونه قدر كل شيء خلقه- بقوله تعالى: ﴿الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى﴾[2].

وهذا الذي أوردته قليل من كثير مما أورده الشيخ رحمه الله في كتاب التفسير من أدلة قرآنية على هذه الأنواع[3].

فالشيخ الأمين رحمه الله يتناول براهين التوحيد بالتوضيح في هذه السورة الكريمة وحدها مؤكدا أن من اتصف بهذه الصفات العظيمة فهو المستحق أن يعبد ولا يشرك معه أحد ؛ فالله سبحانه وتعالى هو النافع الضار، المتفرد بكل كمال، الآمر الناهي. قدر جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلقه، ثم كتبه في اللوح المحفوظ[4]، ثم خلقه وفق ما يريد، فسبحان المتصف بكل كمال وجلال، فهو الإله المعبود بحق وحده.

وهذا ما أكده أيضاً الإمام ابن القيم [5] رحمه الله حيث يقول: «وإذا كان وحده هو ربنا وملكنا وإلهنا، فلا مفزع لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه. ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يدعى، ولا يخاف، ولا يرجى، ولا يحب سواه. ولا يذل لغيره، ولا يخضع لسواه، ولا يتوكل إلا عليه؛ لأن من ترجوه وتخافه، وتدعوه، وتتوكل عليه إما أن يكون مربيك

(١) سورة غافر، الآيتان [٦٢ - ٦٣].

(٢) سورة الأعلى، الآيتان [٢ - ٣].

(٣) راجع أضواء البيان ٦/ ٢٦٥ - ٢٦٧ .

(٤) يدل عليه حديث عبد الله بن عمرو، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة».

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر ٤/ ٢٠٤٤ بلفظ «كتب الله مقادير الخلائق». والترمذي في سننه (٤/ ٤٥٨)، وقال: حديث حسن صحيح غريب. واللفظ له.

(٥) تقدمت ترجمته صـ١٠٦.

والقيم بأمورك ومتولي شأنك ؛ وهو ربك فلا رب سواه، أو تكون مملوكه وعبده الحق ؛ فهو ملك الناس حقاً، وكلهم عبيده ومماليكه، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك وروحك، وهو الإله الحق ؛ إله الناس الذي لا إله لهم سواه، فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه، ولا يلجؤا إلى غير حماه، فهو كافيهم وحسبهم وناصرهم ووليهم ومتولي أمورهم جميعاً بربوبيته وملكه وإلهيته لهم. فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه إلى ربه ومالكه وإلهه»[1].

وخلاصة القول : أن من كان متصفاً بتلك الصفات العظيمة جدير بأن يعبد وحده ولا يشرك معه أحد من خلقه ؛ وهو ما يؤكده الشيخ الأمين رحمه الله، وما يحتويه كلامه السابق ؛ فالموجودات كلها واقعة تحت أمر الله ونهيه وقهره. فسبحان من تفرد بالوحدانية والملك والألوهية.

وهذه الصفات العظيمة الدالة على توحيد الألوهية : قد أجمل الشيخ رحمه الله الكلام عنها في موضع واحد، ثم فصل الكلام عنها في مواضع متعددة من تفسيره.

وقد أجملت الكلام عنها فيما سبق اقتداء بصنيع الشيخ رحمه الله، وها أنا أشرع ببيانها على وجه التفصيل اقتداء بصنيع الشيخ رحمه الله أيضاً. فمنها :

أولاً: قدرة الله على الخلق :

الذي يقدر على خلق الخلق، وإبرازهم من العدم إلى الوجود هو الذي يستحق أن يعبد وحده ؛ لأن من لا يقدر على ذلك عاجز، والعاجز لا

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٢٤٨ .

يصلح أن يكون إلهاً معبوداً.

وقد فصل الشيخ رحمه الله في هذه المسألة في عدة مواضع من تفسيره، أكتفي بذكر موضعين منها :

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾[1]. قال : «أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى أنه هو المستحق لأن يعبد وحده؛ لأنه هو الخالق وحده، ولا يستحق من الخلق أن يعبدوا إلا من خلقهم وأبرزهم من العدم إلى الوجود، لأن المقصود من قوله: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ إنكار ذلك، وأنه هو الخالق وحده، بدليل قوله بعده: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ أي وخالق كل شيء هو المستحق لأن يعبد وحده. ويبين هذا المعنى في آيات كثيرة ؛ كقوله : ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم﴾ الآية[2]، وقوله : ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون﴾[3]، وقوله: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾[4] ، وقوله : ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾[5]، إلى غير ذلك من الآيات. لأن المخلوق محتاج إلى خالقه ؛ فهو عبد مربوب مثلك يجب عليه أن يعبد من خلقه وحده، كما يجب عليك ذلك، فأنتما سواء بالنسبة إلى وجوب عبادة الخالق وحده لا شريك له»[6]

---

(١) سورة الرعد، الآية [١٦].

(٢) سورة البقرة، لآية [٢١].

(٣) سورة الفرقان، الآية [٣].

(٤) سورة الأعراف، الآية [١٩١].

(٥) سورة لقمان، الآية [١١] .

(٦) أضواء البيان ٣/ ١٠١ .

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾[1] قال رحمه الله: «قد ذكرنا قريباً أن قوله ﴿ما خلقنا السماء والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾[2] يتضمن البرهان القاطع على صحة معنى «لا إله إلا الله»، وأن العلامة الفارقة بين المعبود بحق وبين غيره هي كونه خالقاً. وأول سورة الأحقاف هذه يزيد ذلك إيضاحاً؛ لأنه ذكر من صفات المعبود بحق أنه خلق السموات والأرض وما بينهما بالحقّ وذكر من المعبودات الأخرى التي عبادتها كفر مخلد في النار أنها لا تخلق شيئاً»[3].

ولا شك أن هذا البرهان من أعظم البراهين الدالة على توحيد الألوهية؛ إذ كيف يستحق العبادة من يعجز عن الخلق، بل هو مخلوق مربوب مفتقر إلى ربه وخالقه. فمن يستحق العبادة خالق كل شيء وربه ومليكه، وهو الله رب العالمين، الإله المعبود وحده سبحانه وتعالى.

ثانياً: النافع الضار

النافع الضار من أسماء الله المزدوجة المتقابلة المقترنة التي لا يفرد أحدهما عن الآخر[4]. وهي تدل على كمال الله سبحانه وتعالى، وحكمته البالغة؛ حيث ينفع من أطاعه بفعل الخيرات في الدنيا والإعانة عليها، وتكون سبباً لدخول الجنة. والضارّ لمن عصاه وابتعد عن هداه ومآله إلى النار.

---

(١) سورة الأحقاف، الآية [٤].

(٢) سورة الأحقاف، الآية [٣]

(٢) أضواء البيان ٧/ ٣٧٢.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله مضمون هذا المعنى في عدة مواضع من تفسيره أضواء البيان.

((انظر مثلاً: ٢/ ٤٨٢، ٣/ ٢١١، ٤/ ٣٠).

(٤) بدائع الفوائد ١/ ١٦٧.

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى أن النافع والضار هو الله وحده، فيجب أن يفرد بالعبادة وحده؛ إذ أن عبادة ما سواه باطلة؛ لأنه عاجز عن النفع والضر، والعاجز لا يصلح أن يكون إلها.

قال رحمه الله موضحاً هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى :

﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾[1]: «بين الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة سخافة عقول الذين عبدوا العجل، وكيف عبدوا ما لا يقدر على ردّ الجواب لمن سأله، ولا يملك نفعاً لمن عبده، ولا ضراً لمن عصاه، وهذا يدل على أن المعبود لا يمكن أن يكون عاجزاً عن النفع والضر ورد الجواب.

وقد بين هذا المعنى في غير هذا الموضع؛ كقوله في الأعراف في القصة بعينها : ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين﴾[2]. ولا شك أن من اتخذ من لا يكلمه ولا يهديه سبيلاً إلها، فإنه من أظلم الظالمين، ونظير ذلك قوله تعالى عن إبراهيم : ﴿يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾[3][4].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾[5] قال رحمه الله : «ماذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن المعبودات من دونه لا تقدر أن تكشف ضراً أراد الله به أحداً، أو تمسك

---

(١) سورة طه، الآية [٨٩].

(٢) سورة الأعراف، الاية [١٤٨].

(٣) سورة مريم، الآية(٤٢).

(٤) أضواء البيان ٤/ ٤٩٧ - ٤٩٨.

(٥) سورة الزمر، الآية [٣٨].

رحمة أراد بها أحداً ، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿لم تعبد مالايسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾[1] . .[2] .

وبذلك يوضح الشيخ رحمه الله أن القادر على النفع والضر هو المستحق للعبادة، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى؛ فهو الإله المعبود وحده .

وما ذكره الشيخ - رحمه الله - لم ينفرد به، ولم يكن أول من قاله، بل هو معنى معروف قاله العلماء قبله، وهو عقيدة السلف الصالح المستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ ابن رجب[3] رحمه الله : «فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر، ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده؛ فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني عن عابده شيئاً . فمن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع غير الله أوجب له ذلك إفراده بالخوف، والرجاء ، والمحبة، والسؤال، والتضرع، والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعاً، وأن يتقي سخطه . ولو كان فيه سخط الخلق جميعاً . [4]

---

(١) سورة مريم، الآية [٤٢] .

(٢) أضواء البيان ٧/ ٧٥ .

وقد أشار الشيخ رحمه الله لهذا المعنى في عدة مواضع من تفسير أضواء البيان .

(انظر مثلاً : ٣/ ٢٨٠، ٤/ ٥٧٢، ٧/ ٦٠٦)

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي، ثم الدمشقي . ولد في بغداد سنة (٧٣٦هـ) ونشأ وتوفي في دمشق سنة (٧٩٥هـ) .

(انظر : شذرات الذهب ٦/ ٣٣٩ . والأعلام ٣/ ٢٩٥)

(٤) جامع العلوم والحكم صـ ١٨٣ .

وخلاصة القول: أن الشيخ رحمه الله استشهد على ألوهية الله، واستحقاقه العبادة بكونه النافع والضار وحده كما صرحت بذلك الأدلة الصريحة الواضحة في كتاب الله تعالى.

ثالثاً: الرزاق

الرزاق من أسماء الله تعالى الدالة على عظم فضله وكرمه وسخائه؛ فهو الذي يرزق أهل السموات والأرض بأنواع الخيرات والنعم المتتالية. وكما أنه يرزق عباده الدنيا وملذاتها كذلك يرزق الإيمان الموصل إلى الجنة ونعيمها. ولا يقدر على ذلك كله إلا الله وحده. فهو المستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

وقد أوضح الشيخ رحمه الله هذا المعنى، وأشار إلى أنه لا يجوز أن تكون العبادة إلا لمن رزق الخلق وأنعم عليهم بالخيرات المتتالية، وهو الله سبحانه وتعالى. أما غيره فلا يستحق أن يعبد؛ لأنه عاجز عن رزق العباد، والعاجز لا يكون إلهاً؛ فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون﴾(١): «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار يعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات؛ بإنزال المطر، ولا من الأرض؛ بإنبات النبات، وأكد عجز معبوداتهم عن ذلك بأنهم لا يستطيعون؛ أي لا يملكون أن يرزقوا، والاستطاعة منفية عنهم أصلاً؛ لأنهم جماد ليس فيه قابلية استطاعة شيء. ويفهم من الآية الكريمة: أنه لا يصح أن يعبد إلا من يرزق الخلق؛ لأن أكلهم رزقه وعبادتهم غيره كفر ظاهر لكل عاقل. وهذا المعنى المفهوم بينه الله في مواضع أخر». ثم ذكر رحمه الله بعض الآيات الدالة على هذا المعنى؛ منها قوله تعالى: ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه، بل لجوا في عتوّ ونفور﴾(٢). وقوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون* ما أريد منهم من رزق وما

---

(١) سورة النحل. الآية [٧٣].

(٢) سورة تبارك، الآية [٢١].

أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾(١)، وغيرها من الآيات(٢).

وهذا المفهوم الذي قصده الشيخ رحمه الله بهذا القول، هو عين ما ارتضاه أئمة التفسير ممن عرفوا بسلامة الاعتقاد. ودقة إيضاح المعاني التي تتضمنها الآيات ؛ أمثال الإمام ابن كثير(٣) رحمه الله الذي قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لايملك لهم رزقاً﴾(٤): يقول الله تعالى إخباراً عن المشركين الذين عبدوا معه غيره، مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان مالايملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً؛ أي لا يقدر على إنزال مطر، ولاإنبات زرع ولاشجر. ولايملكون ذلك لأنفسهم؛ أي ليس لهم ذلك، ولا يقدرون عليه لو أرادوه، ولهذا قال تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾(٥)؛ أي لا تجعلوا له أنداداً وأشباهاً وأمثالاً، ﴿إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾(٥)أي أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو، وأنتم بجهلكم تشركون به غيره»(٦).

وخلاصة القول : إن الشيخ الأمين رحمه الله يستدل بهذه الصفة العظيمة، وثبوت تفرد الباري سبحانه بها على استحقاقه للألوهية وحده لا شريك له ؛ إذ ليس من العقل في شيء أن يأكل الإنسان رزق ربه ويتقلب

(١) سورة الذاريات، الآيات[٥٦ - ٥٨].
(٢) أضواء البيان ٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣.
وأشار لهذا المعنى أيضاً في مواضع أخرى من تفسيره أضواء البيان.
(انظر مثلاً : ٣/ ٣٢٧، ٧/ ٦٦٦).
(٣) هو الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، أبو الفداء الدمشقي. ولد سنة (٧٠١هـ) في قرية من قرى الشام، وتوفي في دمشق سنة (٧٧٤هـ).
(انظر : شذرات الذهب ٦/ ٢٣١ - ٢٣٢ . والأعلام ١/ ٣٢٠.
(٤) سورة النحل، الآية [٧٣].
(٥) سورة النحل، الآية [٧٤].
(٦) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٥٧٨.

في نعمه، ويعبد سواه.

رابعاً: عالم الغيب

من أسماء الله سبحانه وتعالى: العليم، الذي أحاط بكل شيء علماً؛ علم الأمور قبل خلق السموات والأرض، ثم كتبها وقدرها وشاءها، ثم خلقها.

وها هنا يوضح الشيخ رحمه الله أنه لا ينبغي أن يعبد إلا من اتصف بصفة العلم، وأما من لم يتصف بهذه الصفة العظيمة فهو عبد مقهور محتاج إلى الله تعالى الإله المستحق للعبادة وحده.

يقول رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾[1]: «ختم الله هذه السورة الكريمة بهذه الخاتمة العظيمة، فكأنه يقول: الذي يأمركم وينهاكم جدير بأن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى؛ لأنه متصف بصفات عظيمة تستوجب أن يفرد بالطاعة، وأن لا يعصى له أمر، فإنه يعلم السر وأخفى»[2].

ثم يقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إليه يرجع الأمر كله﴾[3]: «أي كل الأمور راجعة إليه تعالى. ومن الأمور الراجعة إليه بنو آدم وأعمالهم؛ فيجازي كلا منهم بما يستحق من خير أو شر. وفائدة الترتيب بالفاء في قوله تعالى: ﴿فاعبده﴾الإشارة إلى نكتة؛ وهو أنه لا ينبغي أن يعبد ويخضع ويذل إلا لمن اتصف بهذه الصفات العظيمة، ومثله

---

(١) سورة هود، الآية [١٢٣].

(٢) معارج الصعود ص ٣٠٦.

(٣) سورة هود، الآية [١٢٣].

قوله تعالى: ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً[1]﴾.
ويفهم من مفهوم المخالفة أن الجاهل الذي لا يعلم الغيب لا ينبغي أن يخضع له؛ لأنه مربوب محتاج إلى الله تعالى »[2].

فالشيخ يؤكد أن المتصرف في هذا الكون هو الله وحده، ولا يعلم الغيب غيره، فهو المعبود بحق دون سواه، وأما غيره من الأنبياء والملائكة والأولياء، فهم عاجزون عن نفع أنفسهم ومعرفة مستقبلهم فضلاً عن نفع غيرهم؛ قال الله تعالى مخبراً عن رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾[3].

(١) سورة المزمل، الآية [٩].
(٢) معارج الصعود صـ٣٠٦ - ٣٠٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية [١٨٨].

المطلب الثاني

البراهين الكونية

ومن براهين التوحيد : الآيات الكونية التي تسلك بالمخاطب سبيل الحس والمشاهدة، وتدل على عين المطلوب؛ فكل مخلوق يدلّ على وحدانية الخالق وأنه هو المعبود وحده.

يتحدث الشيخ رحمه الله عن معنى الآية الكونية فيقول : «أما الآية الكونية القدرية فهي العلامة التي نصبها الله كوناً وقدراً ليبين بها لخلقه أنه الرب وحده، والمعبود وحده؛ كفلقه الحب من السنبل، والنوى عن النخل، وكإتيانه بالليل بدل النهار، والنهار بدل الليل، وتسخير الشمس والقمر، وخلقه النجوم ليهتدى بها. فهذه آيات كونية قدرية»[1].

فالآيات الكونية من عجائب صنع الله، وهي تدل على وحدانيته، واستحقاقه العبادة وحده، وقد أمرنا الله سبحانه و تعالى أن نتفكر فيها وننظر إليها حتى نوحده في ألوهيته جل وعلا.

يقول الشيخ الأمين رحمه الله في بيان هذا الجانب : «أمر الله جل وعلا جميع عباده أن ينظروا ماذا خلق في السموات والأرض من المخلوقات الدالة على عظم خالقها، وكماله، وجلاله، واستحقاقه لأن يعبد وحده جل وعلا. وأشار لمثل ذلك بقوله : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ الآية[2] ووبخ في سورة الأعراف من لم يمتثل هذا الأمر، وهدده بأنه قد يعاجله الموت فينقضي أجله قبل أن ينظر في أمر الله

(١) نقلاً عن الشريط رقم [١٥]، بصوت الشيخ رحمه الله : الوجه الأول ؛ في تفسير سورة الأنعام. وكذلك وضح هذا المعنى في الشريط رقم [١٠] : الوجه الثاني ؛ تفسير السورة نفسها.

(٢) سورة فصلت، الآية [٥٣].

جل وعلا، أن ينظر فيه لينبه بذلك على وجوب المبادرة في امتثال أمر الله جل وعلا في قوله : ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ (١). (٢).

ويوضح لنا رحمه الله في مكان آخر الحكمة من النظر في هذه الآيات الكونية التي أمر الله سبحانه و تعالى بالنظر إليها، وأن مراد الله من النظر في تلك الآيات هو الاستدلال على أنه سبحانه المستحق للعبادة، وأن له الكبرياء والعظمة، وأن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حق :

يقول رحمه الله مبيناً هذا الجانب عند تفسير قوله تعالى : ﴿هو الذي يريكم آياته﴾(٣) : «ذكر جل علا في هذه الآية الكريمة أنه جل وعلا هو الذي يري خلقه آياته ؛ أي الكونية القدرية، ليجعلها علامات لهم على ربوبيته واستحقاقه العبادة وحده. . .

فبين أنه يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، وأن مراده بذلك البيان أن يتبين لهم أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق ؛ كما قال تعالى : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾(٤). والآفاق : جمع أفق ؛ وهو الناحية. والله جل وعلا قد بين من غرائب صنعه، وعجائب مخلوقاته في نواحي سماواته وأرضه ما يتبين به لكل عاقل أنه هو الرب المعبود وحده»(٥).

وبذلك يبين الشيخ رحمه الله أن النظر وسيلة إلى عبادة الله، وليس غاية يقف عنده المتأمل وقفة حيرة وغفلة، وإنما نظرة تفكر واتعاظ تأخذ بصاحبها

---

(١) سورة الأعراف، الآية [١٨٥].

(٢) أضواء البيان ٢/ ٤٩٣.

(٣) سورة غافر، الآية [١٣].

(٤) سورة فصلت، الآية [٥٣].

(٥) أضواء البيان ٧/ ٧٤ - ٧٥.

إلى الحق، وتخرجه من الظلمة إلى النور.

وقد أوضح رحمه الله البراهين الكونية الدالة على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة - والتي تضمنها القرآن الكريم- بالإجمال في مواضع، وبالتفصيل في مواضع؛ فذكر ستة أنواع تضمنتها أول سورة الجاثية، عند قوله تعالى: ﴿إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين* وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون* واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون﴾[1]. فقال رحمه الله مبيناً هذا الجانب: «ذكر جل وعلا في هذه الآيات الكريمة من أول سورة الجاثية ستة براهين من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله، وكمال قدرته، وأنه المستحق للعبادة وحده تعالى:

الأول منها: خلقه السموات والأرض.

الثاني: خلقه الناس.

الثالث: خلقه الدواب.

الرابع: اختلاف الليل والنهار.

الخامس: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به.

السادس: تصريف الرياح.

وذكر أن هذه الآيات والبراهين إنما ينتفع بها المؤمنون الموقنون الذين يعقلون عن الله حججه وآياته، فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم، ولذا قال: ﴿لآيات للمؤمنين﴾، ثم قال ﴿آيات لقوم يعقلون﴾[2][3].

ثم سرد رحمه الله بعد ذلك الأدلة من القرآن الكريم، والتي تدل على

(١) سورة الجاثية، الآيات [٣ - ٥].

(٢) سورة الجاثية، الآية [٥].

(٣) أضواء البيان ٧/ ٣٢٩ - ٣٣٠.

كل نوع من الأنواع الستة السالفة، كما هي طريقته رحمه الله في تفسير القرآن بالقرآن ؛ فاستدل للنوع الأول بآيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض﴾[1].

واستدل للنوع الثاني بآيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾[2].

ومن الآيات التي استدل بها للنوع الثالث ؛ خلق الدواب ؛ قوله تعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، يخلق الله ما يشاء إن الله على كلّ شيء قدير﴾[3].

واستدل لاختلاف الليل والنهار بآيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾[4].

واستدل لإنزال الماء وإحياء الأرض به بآيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صباً* ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً* وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلباً * وفاكهة وأباً* متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[5].

واستدل لتصريف الرياح بآيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾[6]. إلى غير ذلك من الآيات[7].

(١) سورة الروم، الآية [٢٢].

(٢) سورة الروم، الآية [٢٠].

(٣) سورة النور، الآية [٤٥].

(٤) سورة النور، الآية [٤٤].

(٥) سورة عبس، الآيات [٢٤ - ٣٢].

(٦) سورة الروم، الآية [٤٦].

(٧) انظر : أضواء البيان ٧/ ٣٢٩ - ٣٣٣. وانظر المصدر نفسه ٤/ ٤٢٠ - ٤٢١ .

وفيما يلي أورد تفصيلاً للبراهين السالفة التي مر ذكرها مجملة . وأورد معها براهين أخرى غيرها ذكرها الشيخ الأمين رحمه الله، ورتبها حسب أهميتها.

فمنها :

أولاً : خلق السموات والأرض:

خلق السموات والأرض من أعظم الأدلة القاطعة على أن الله هو المستحق أن يعبد وحده؛ فهي دليل حي مشاهد ناطق على وجود الخالق القادر المتفرد بالعبادة.

يوضح الشيخ رحمه الله هذا البرهان فيقول : «وقد أقام الله جل وعلا البرهان القاطع على صحة معنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً ؛ بخلقه للسموات والأرض وما بينهما، في قوله : ﴿الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً﴾ الآية[1]. وبذلك تعلم أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا خلقاً متلبسا بأعظم الحق ؛ الذي هو إقامة البرهان القاطع المذكور على توحيده جل وعلا. عُلم من استقراء القرآن أن العلامة الفارقة بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها هي كونه خالقاً لغيره، فمن كان خالقاً لغيره فهو المعبود بحق، ومن كان لا يقدر على خلق شيء فهو مخلوق محتاج، لا يصح أن يعبد بحال»[2].

وقال رحمه الله في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى : ﴿إنّ إلهكم

---

(١) سورة البقرة، الآيتان [٢١-٢٢].

(٢) أضواء البيان ٧/ ٣٦٦.

لواحد * رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾[1]: «ووجه توكيده تعالى قوله: ﴿إن إلهكم﴾ بهذه الأقسام، وب«إنّ» واللام: هو أنّ الكفار أنكروا كون الإله واحدا إنكاراً شديداً، وتعجبوا من ذلك تعجباً شديداً؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾[2]. ولما قال تعالى: ﴿إن إلهكم لواحد﴾[3] أقام الدليل على ذلك بقوله: ﴿ربّ السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾[4]. فكونه خالق السموات والأرض الذي جعل فيها المشارق والمغارب برهان قاطع على أنه المعبود وحده. وهذا البرهان القاطع الذي أقامه هنا على أنه هو الإله المعبود وحده أقامه على ذلك أيضاً في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾[5]، فقد أقام البرهان على ذلك بقوله بعده متصلاً به: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾...[6].[7]

فأدلة القرآن الكريم على ذلك البرهان ساطعة، وقد رأينا كيف أورد الشيخ رحمه الله هذا الدليل فأوضح أن خلق السموات والأرض دليل قاطع وبرهان ساطع على أن خالقها قدير عليم، وحكيم خبير، وأنه هو المستحق

(١) سورة الصافات، الآيتان [٤ - ٥].
(٢) سورة ص، الآية [٥].
(٣) سورة الصافات، الآية [٤].
(٤) سورة الصافات، الآية [٥].
(٥) سورة البقرة، الآية [١٦٣].
(٦) سورة البقرة، الآية [١٦٤].
(٧) أضواء البيان ٦/ ٦٧٣. وانظر كذلك المصدر نفسه: ٤/ ٤٤٠ - ٤٤١، ٧/ ٧٤، ٦٤٤، ٦٧٥، ٧٣٨.

لأن يعبد وحده.

وقد أوضح ابن القيم رحمه الله هذا الدليل الكوني مستدلاً به على نواحي كثيرة من التوحيد، فقال: «إن الأرض والبحار والهواء، وكل ما تحت السموات، بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر. ولهذا قل أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها؛ إما إخباراً عن عظمتها وسعتها، وإما إقساماً بها، وإما دعاء للنظر فيها، وإما إرشاداً للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها، وإما استدلالا منه بربوبيته لها على وحدانيته، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وإما استدلالا منه بحسنها واستوائها والتئام أجزائها، وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته»[1].

فالشيخ رحمه الله يستدل بهذه المخلوقات العظيمة على طاعة الله وإفراده بالعبادة وحده، ويرد على الملاحدة المنكرين لوجود السموات بأنهم في غاية الجهالة:

يقول رحمه الله: «والذين ينكرون وجود السموات في غاية من الجهل والسفه، ولاشك أن هذا الرب العظيم الذي يخلق هذه المخلوقات العظيمة هو الجدير بالطاعة والعبادة وحده، كما أنه الخالق وحده»[2].

فهو رحمه الله يرد على من طغى في الجهالة والإلحاد، ويؤكد أن وجود السموات من أعظم الأدلة على ألوهية خالقها. وموجدها من العدم، وممسكها بقدرته. كيف لا تكون موجودة وهذه الكواكب والنجوم زينة لها دالة على مبدعها، وخالقها، وأنه هو الربّ المعبود وحده سبحانه و تعالى.

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٤٨.
(٢) معارج الصعود صـ ٤٨.

ثانياً: خلق الإنسان :

إن من أقرب الأدلة على وحدانية الله وألوهيته : خلق الإنسان ؛ فهو آية ناطقة على عجائب صنعه ودقة خلقه .

وقد دعا الله عباده إلى التفكر في أنفسهم حتى يتحقق عندهم الإيمان بأنه الرب الخالق والإله المعبود وحده ؛ قال تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[1] .

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى هذا الدليل العظيم الذي يراه كل إنسان في نفسه؛ إذ إن القادر على هذا الخلق والإيجاد هو المستحق أن يعبد وحده ؛ يقول رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان * علمه البيان﴾[2] : «اعلم أولاً أن خلق الإنسان، وتعليمه البيان من أعظم آيات الله الباهرة ؛ كما أشار تعالى لذلك بقوله في أول النحل: ﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾[3]، وقوله في آخر يس: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾[4] ؛ فالإنسان بالأمس نطفة، واليوم هو في غاية البيان وشدة الخصام ؛ يجادل في ربه، وينكر قدرته على البعث. فالمنافاة العظيمة التي بين النطفة وبين الإبانة في الخصام، مع أن الله خلقه من نطفة، وجعله خصيماً مبيناً، آية من آياته جل وعلا دالة على أنه المعبود وحده، وأن البعث من القبور حق»[5] .

ويقول رحمه الله في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من

---

(١) سورة الذاريات، الآية [٢١].

(٢) سورة الرحمن ، الآيتان [٣-٤]

(٣) سورة النحل، الآية [٤].

(٤) سورة يس، الآية [٧٧].

(٥) أضواء البيان ٧/ ٧٣٥ .

مضغة مخلقة وغير مخلقة﴾[1] : «. . . ثم ذكر الحكمة فقال : ﴿لنبين لكم﴾[2] ؛ أي لنظهر لكم بذلك عظمتنا وكمال قدرتنا ، وانفرادنا بالإلهية واستحقاق العبادة . وقال في سورة المؤمن : ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً﴾[3] . وقال تعالى : ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من منيّ يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾[4] . والآيات بمثل هذا كثيرة . وقد أبهم هذه الأطوار المذكورة في قوله : ﴿كلا إنا خلقناهم مما يعلمون﴾[5] ؛ وذلك الإبهام يدل على ضعفهم وعظمة خالقهم جل وعلا . فسبحانه جل وعلا ما أعظم شأنه . وما أكمل قدرته ، وما أظهر براهين توحيده»[6] .

وقال رحمه الله في موضع آخر أيضاً عند تفسير قوله تعالى : ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾[7] : «أي إن كنتم الآن ترون أنفسكم قد ركبتم من جسم بعظام ولحم ودم ومفاصل ، فاعملوا أن أصلكم من هذا التراب ، فالذي أوجدكم وأوصلكم إلى هذه الحال هو الذي لا يليق بكم أن تعبدوا غيره»[8] .

وقد أوضح هذا البرهان أيضاً الإمام ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر

---

(١) سورة الحج ، الآية [٥] .

(٢) سورة الحج ، الآية [٥] .

(٣) سورة غافر ، الآية [٦٧] .

(٤) سورة القيامة ، الآيات [٣٦ - ٤٠] .

(٥) سورة المعارج ، الآية [٣٩] .

(٦) أضواء البيان ٥/ ٧٧٩

(٧) سورة هود ، الآية [٦١] .

(٨) معارج الصعود صـ١٥٨ . وانظر أضواء البيان ٤/ ١٠٢ ، ٥/ ٧٧٦ .

بعض الآيات التي أسند الله فيها خلق الإنسان لنفسه المقدسة، وذكر فيها الأطوار التي يتدرج فيها الإنسان أثناء خلقه، فقال رحمه الله : «وهذا كثير في القرآن ؛ يدعو العبد إلى النظر والتفكر في مبدأ خلقه، ووسطه ، وآخره؛ إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقف على بعضه، وهو غافل عنه معرض عن التفكير فيه. ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره ؛ قال الله تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره * من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره* ثم السبيل يسره* ثم أماته فأقبره* ثم إذا شاء أنشره﴾(١). (٢).

فالشيخ الأمين رحمه الله يوضح أن خلق الإنسان بهذه الصفة العجيبة دليل باهر على ربوبية الله سبحانه و تعالى وتفرده بالعبادة وحده؛ فالقادر على هذا الخلق العظيم جدير بأن تصرف إليه العبادة وحده جل وعلا.

ثالثاً : إنزال الماء :

قال تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حيّ﴾(٣) . فالحياة قائمة على عنصرين: الماء والهواء.

وقد امتنّ الله على عباده بإنزال الماء إليهم بالقدر الذي فيه صلاحهم ونفعهم، لينتفعوا به . ويعرفوا خالقهم فيشكروه ويحمدوه على هذه النعمة العظيمة.

وقد أوضح الشيخ رحمه الله هذا المعنى ؛ فقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون* أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون* لو

(١) سورة عبس، الآيات [١٧-٢٢].

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٣٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية [٣٠].

نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون﴾[1]: «تضمنت هذه الآية الكريمة امتناناً عظيماً على خلقه بالماء الذي يشربونه، وذلك أيضاً آية من آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته، وشدة حاجة خلقه إليه. والمعنى: أفرأيتم الماء الذي تشربون، الذي لا غنى لكم عنه لحظة، ولو أعدمناه لهلكتم جميعاً في أقرب وقت: ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾[2]، والجواب الذي لاجواب غيره هو: أنت يا ربنا منزله من المزن، ونحن لاقدرة لنا على ذلك. فيقال لهم: إذا كنتم في هذا القدر من شدة الحاجة إليه فلم تكفرون به، وتشربون ماءه، وتأكلون رزقه، وتعبدون غيره، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الامتنان على الخلق بالماء، وأنهم يلزمهم الإيمان بالله وطاعته شكراً لنعمة هذا الماء، كما أشار له هنا بقوله: ﴿فلولا تشكرون﴾[3] جاء في آيات أخر من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾[4]، وقوله: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً * لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وأسقيناكم ماء فراتاً﴾[7]، إلى غير ذلك من الآيات»[8].

ويستمر الشيخ رحمه الله في تفسير الآيات السابقة، وأكتفي منها بما

(١) سورة الواقعة، الآيات [٦٨ - ٧٠].

(٢) سورة الواقعة، الآية [٦٩].

(٣) سورة الواقعة، الآية [٧٠].

(٤) سورة الحجر، الآية [٢٢].

(٥) سورة النحل، الآية [١٠].

(٦) سورة الفرقان، الآيتان[٤٨ - ٤٩].

(٧) سورة المرسلات، الآية [٢٧].

(٨) أضواء البيان ٧/ ٧٩٢ - ٧٩٣. وانظر المصدر نفسه: ٥/ ٧٨٤ - ٧٨٦.

ذكرت؛ إذ أنه قد أبان فيه رحمه الله هذا الدليل العظيم على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة.

ورغم هذا الامتنان من الله على خلقه، ولطفه بهم؛ حيث أنزل الماء بقدر، وأسكنه الأرض، وهو قادر سبحانه على الذهاب به، رغم هذا نجد من يكفر من يكفر بتلك النعمة ويجحدها، وينسب إنزال المطر لغير الله افتراء وبهتاناً عليه:

يقول الشيخ رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً * لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً * ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾[1] - مبيناً حال تلك الفئة، ورداً عليها، ومفندا لأقوالها الرديئة: «ولاشك أن من جملة من أبى منهم إلا كفوراً الذين يزعمون أن المطر لم ينزله منزل هو فاعل مختار، وإنما نزل بطبيعته؛ فالمنزل له عندهم: هو الطبيعة، وأن طبيعة الماء المتبخر: إذا تكاثرت عليه درجات الحرارة من الشمس أو الاحتكاك بالريح، وأن ذلك البخار يرتفع بطبيعته، ثم يجتمع، ثم يتقاطر، وأن تقاطره ذلك أمر طبيعي لا فاعل له، وأنه هو المطر. فينكرون نعمة الله في إنزال المطر، وينكرون دلالة إنزاله على قدرة منزله، ووجوب الإيمان به، واستحقاقه وحده للعبادة، فمثل هؤلاء داخلون في قوله: ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾[2]، بعد قوله: ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا﴾[3] وقد صرح في قوله: ﴿ولقد صرفناه﴾ أنه تعالى هو مصرف الماء ومنزله حيث شاء وكيف شاء. ومن قبيل هذا المعنى: ما ثبت في صحيح مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة الفرقان، الآيات [٤٨ - ٥٠].

(٢) سورة الفرقان، الآية [٥٠].

(٣) سورة الفرقان، الآية [٥٠].

وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر: فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»[1]. هذا لفظ مسلم رحمه الله في صحيحه، ولا شك أن من قال: مطرنا ببخار كذا؛ مسنداً ذلك للطبيعة، أنه كافر بالله مؤمن بطبيعة البخار... ولا شك أن خالق السموات والأرض جل وعلا هو منزل المطر على القدر الذي يشاء كيف يشاء سبحانه و تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً»[2].

وهكذا يرد الشيخ رحمه الله على هؤلاء الملاحدة الذين جحدوا وجود الرب سبحانه و تعالى، وعطلوه عن ربوبيته وألوهيته، وهم يتقلبون في نعمته، ويأكلون ويشربون من فضله، ويرون هذا البرهان العظيم فلا يؤمنون.

ويؤكد رحمه الله أن الله هو المتفرد بالخلق والإيجاد، المنعم على الناس بفضله وقدرته، فالواجب عليهم أن يعبدوه وحده ولا يشركوا معه غيره، فسبحانه من إله عظيم امتنّ على عباده بجميع الخيرات.

وقد أشار الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله إلى هذا الدليل الذي ذكره الشيخ الأمين، وجعله دليلاً على إفراد الله بالعبادة؛ يقول السعدي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾[3]: «يذكر الله تعالى في هذه الآية نعمة من أعظم النعم، ليعقلوا عن الله مواعظه وتذكيره،

(١) صحيح مسلم ١/ ٨٣ - ٨٤.

(٢) أضواء البيان ٥/ ٧٨٦. وانظر المصدر نفسه ٥/ ٧٨٤.

(٣) سورة النحل، الآية [٦٥].

فيستدلوا بذلك على أنه وحده المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده»[1].

وبهذا يتبين أن إنزال الله تعالى للمطر بكمية مقدرة، فيها مصلحة شاملة لكل ما هو حي دليل على ألوهيته وعظمته ؛ فإن القدرة على إنزال الماء من أقوى الأدلة على أنه لا معبود سواه.

رابعاً : إحياء الأرض:

من البراهين الكونية الدالة على استحقاق الله للعبادة وحده : إحياء الأرض ، وإنبات النبات الذي امتن الله به على عباده.

وقد أوضح الشيخ رحمه الله هذا البرهان بأسلوب السؤال والجواب ؛ حيث قال رحمه الله : «وإيضاح هذا البرهان باختصار أن قوله تعالى : ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾[2] أمر من الله تعالى لكل إنسان مكلف أن ينظر ويتأمل في طعامه ؛ كالخبز الذي يأكله، ويعيش به ، من خلق الماء الذي كان سبباً لنباته : هل يقدر أحد غير الله أن يخلقه؟ الجواب : لا . ثم هب أن الماء قد خلق بالفعل، هل يقدر أحد غير الله أن ينزله إلى الأرض على هذا الوجه الذي يحصل به النفع من غير ضرر، بإنزاله على الأرض رشا صغيراً حتى تروى به الأرض تدريجاً من غير أن يحصل به هدم ولا غرق ؛ كما قال تعالى : ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾[3]؟ الجواب : لا . ثم هب أن الماء قد خلق فعلاً، وأنزل في الأرض على ذلك الوجه الأتم الأكمل، هل يقدر أحد غير الله أن يشق الأرض ويخرج منها مسمار النبات[4]؟ الجواب : لا . ثم أن النبات خرج من الأرض، وانشقت عنه،

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤/ ٢١٦ .

(٢) سورة عبس، الآية [٢٤].

(٣) سورة الروم، الآية [٤٨].

(٤) أي عِرق النبات.

فهل يقدر أحد غير الله أن يخرج السنبل من ذلك النبات؟ الجواب: لا . ثم هب أن السنبل خرج من النبات، فهل يقدر أحد غير الله أن ينمي حبه وينقله من طور إلى طور حتى يدرك ويكون صالحاً للغذاء والقوت ؟ الجواب : لا»[1].

وقد أوضح هذا البرهان الإمام ابن القيم رحمه الله، وبين تدرج هذا النبات في الإيجاد حتى يكون صالحاً مثمراً دالاً على خالقه وموجده من العدم ؛ يقول رحمه الله : «إذا تأملت إخراج ذلك النور البهي من نفس ذلك الحطب، ثم النبات الأخضر، ثم إخراج تلك الثمار على اختلاف أنواعها، وأشكالها، ومقاديرها، وألوانها، وصورها، وروائحها، ومنافعها، وما يراد منها. ثم تأمل أين كانت مستودعة في تلك الخشبة وهاتيك العيدان، وجعلت الشجرة لها كالأمّ، فهل كان في قدرة الأب العاجز الضعيف إبراز هذا التصوير العجيب، وهذا التقدير الحكيم، وهذه الأصباغ الفائقة، وهذه الطعوم اللذيذة، والروائح الطيبة، وهذه المناظر العجيبة؟ فسل الجاحد من تولى تقدير ذلك وتصويره وإبرازه، وترتيبه شيئاً فشيئاً، وسوق الغذاء إليه في تلك العروق اللطاف التى يكاد البصر يعجز عن إدراكها، وتلك المجاري الدقاق ؟ فمن تولى ذلك كله، ومن الذي أطلع لها الشمس، وسخر لها الرياح، وأنزل عليها المطر، ودفع عنها الآفات . . . إلخ»[2].

فإيضاح الشيخ الأمين رحمه الله لهذا البرهان الدال على أن الخالق متصف بصفات الكمال، متفرد بالخلق والإيجاد والعبادة : يرشد كل ذي عقل ولب إلى صرف جميع أنواع العبادات لله وحده جل وعلا، ويبعده عن عبادة ما سواه بأي نوع من أنواع العبادة، فلا شك أن الخالق اللطيف

(١) أضواء البيان ٧/ ٣٣٢ - ٣٣٣ . وانظر المصدر نفسه ٧/ ٧٩٠ - ٧٩١.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٨١ .

الخبير الموجد من العدم هوالإله المعبود بحق وحده جل وعلا .

وهذا الإيضاح من الشيخ رحمه الله يدل على المكانة العظيمة لهذا الدليل الذي يلقم كل جاحد ومكابر ومشرك الحجة ، ويجعل ألوهية الخالق ووحدانيته من الأمور البديهية التي لا يعرض عنها من رزقه الله عقلاً مستقيماً ، وفطرة سليمة .

خامساً : اختلاف الليل والنهار:

الليل والنهار من الآيات العظيمة الدالة على عظمة الخالق وكمال قدرته ، وأنه المنعم على عباده بهذه النعم الجزيلة التي توجب عليهم أن يقابلوها بالشكر والثناء والانقياد لهذا الإله العظيم .

يقول الشيخ رحمه الله مبيناً هذا الجانب : «والآيات الدالة على اختلاف الليل والنهار- من أعظم الآيات الدالة على عظمة الله واستحقاقه للعبادة وحده -كثيرة جداً ، كقوله تعالى : ﴿ومن آياته الليل والنهار﴾ الآية [١] ، وقوله : ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾[٢] . وقوله : ﴿يغشي الليل النهار﴾ الآية[٣] ، وقوله تعالى : ﴿ولا الليل سابق النهار﴾[٤] . وقوله تعالى : ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ الآية [٥] ، وقوله تعالى : ﴿إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾[٦] والآيات بمثل هذا كثيرة جداً . وقوله تعالى : ﴿أفلا تعقلون﴾[٧] : أي تدركون بعقولكم أن الذي ينشئ السمع والأبصار

(١) سورة فصلت ، الآية [٣٧] .
(٢) سورة يس ، الآية [٣٧] .
(٣) سورة الأعراف ، الآية [٥٤] .
(٤) سورة يس ، الآية [٤٠] .
(٥) سورة النحل ، الآية[١٢] .
(٦) سورة يونس ، الآية [٦] .
(٧) سورة المؤمنون ، الآية [٨٠] .

والأفئدة، ويذرؤكم في الأرض وإليه تحشرون، وهو الذي يحيي ويميت، ويخالف بين الليل والنهار : أنه الإله الحق المعبود وحده جل وعلا، الذي لا يصح أن يسوى به غيره سبحانه وتعالى علوا كبيراً»[1].

واختلاف الليل والنهار من أعظم النعم التي امتن الله بها على عباده، فلو كان الليل سرمداً لتعطلت الحياة، وأصبح الإنسان في خمول وكسل. وكذلك النهار لو جعله الله سبحانه وتعالى مستمراً لكان الناس في تعب وإرهاق. لكنه العليم الخبير جعلهما يلفان الأرض، لايتأخران عن وقتهما؛ فهما آيتان من آيات الله الباهرة التي يراها العباد في اليوم مرتين تنبئ عن وحدانية الخالق وعظمته، وكمال قدرته، واستحقاقه للعبادة وحده لاشريك له.

سادساً : اختلاف ألوان المخلوقات :

إن ما نراه حولنا في هذا الكون من مخلوقات ذات ألوان مختلفة دليل على حكمة الخالق، وعظمته جل وعلا، وسعة علمه.

وتنوع ألوان هذه المخلوقات برهان قاطع، ودليل قوي على كمال الخالق، واستحقاقه للعبادة وحده، ودليل على سفه من ادعى أن هناك خالقاً غير الله يعبد من دون الله، أو مع الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ولاشك أن من صرف شيئاً من خصوصيات الله لغير الله فقد جاء بغاية الكفر والضلال.

يقول الشيخ الأمين رحمه الله موضحاً هذا الجانب : «إن اختلاف ألوان الآدميين، واختلاف ألوان الجبال، والثمار والدواب، والأنعام؛ كل ذلك

---

(١) أضواء البيان ٥/ ٨١٠ - ٨١١. وانظر المصدر نفسه ٥/ ٧٣٨ - ٧٣٩.

من آياته الدالة على كمال قدرته، واستحقاقه للعبادة وحده ؛ قال تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾[1] . واختلاف الألوان المذكورة من غرائب صنعه تعالى وعجائبه ، ومن البراهين القاطعة على أنه هو المؤثر جل وعلا، وأن إسناد التأثير للطبيعة من أعظم الكفر والضلال، وقد أوضح تعالى إبطال تأثير الطبيعة غاية الإيضاح، بقوله في سورة الرعد: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ إلى قوله : ﴿لقوم يعقلون﴾[2]»[3].

ويوضح رحمه الله هذا الدليل في موضع آخر مؤكداً على أهميته ودلالته على وحدانية الخالق العظيم، و على تفرده بالألوهية، وأنه لا شريك له في عبادته، وأنه هو الخالق لكل شيء ، ولا يقع شيء إلا بمشيئته وإرادته، فليس لشيء من مخلوقاته تأثير إلا بأمره وتدبيره؛ فيقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾[4] :

«وأشار في هذه الآية الكريمة إلى أن اختلاف ألوان ما خلق في الأرض من الناس والدواب وغيرهما من أعظم الأدلة على أنه خالق كل شيء، وأنه الرب وحده ، المستحق أن يعبد وحده. وأوضح هذا في آيات أخر ؛ كقوله في سورة فاطر : ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾[5]، وقوله : ﴿ومن

---

(١) سورة فاطر، الآيتان [٢٧ - ٢٨].

(٢) سورة الرعد، الآية [٤].

(٣) أضواء البيان ٦/ ٤٨٦ .

(٤) سورة النحل، الآية [١٣].

(٥) سورة فاطر، الآية[٢٧].

آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾[1] . ولاشك أن اختلاف الألوان والمناظر والمقادير والهيئات وغير ذلك فيه الدلالة القاطعة على أن الله جل وعلا واحد، لاشبيه له، ولا نظير له، ولا شريك له، وأنه المعبود وحده . وفيه الدلالة القاطعة على أن كل تأثير فهو بقدرة وإرادة الفاعل المختار، وأن الطبيعة لا تؤثر في شيء إلا بمشيئته جل وعلا . كما أوضح ذلك في قوله : ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[2] ؛ فالأرض التي تنبت فيها الثمار واحدة ؛ لأن قطعها متجاورة، والماء الذي تسقى به ماء واحد، والثمار تخرج متفاضلة، مختلفة في الألون، والأشكال، والطعوم، والمقادير، والمنافع . فهذا أعظم برهان قاطع على وجود فاعل مختار، يفعل ما يشاء كيف يشاء، سبحانه جل وعلا عن الشركاء والأنداد . ومن أوضح الأدلة على أن الطبيعة لا تؤثر في شيء إلا بمشيئته جل وعلا : أن النار مع شدة طبيعة الإحراق فيها ألقي فيها الحطب وإبراهيم عليه و على نبينا الصلاة والسلام . ولا شك أن الحطب أصلب، وأقسى، وأقوى من جلد إبراهيم ولحمه ؛ فأحرقت الحطب بحرها، وكانت على إبراهيم برداً وسلاماً لما قال لها خالقها : ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾[3]، فسبحان من لا يقع شيء كائنا ما كان إلا بمشيئته جل وعلا فعال لما يريد»[4] .

فالشيخ رحمه الله استدل بهذه الألوان العجيبة والجميلة على حكمة الله وقدرته، وأنه الخالق المبدع ؛ صور تلك الأشياء فأحسن خلقها وتصويرها،

(١) سورة الروم، الآية[٢٢].

(٢) سورة الرعد، الآية [٤].

(٣) سورة الأنبياء، الآية [٦٩].

(٤) أضواء البيان ٣/ ٢٢٧ - ٢٢٨ .

فلا تتشابه المخلوقات بأشكالها ولا بألوانها، فلا رب سواه، ولا إله غيره، ولا شريك معه من خلقه.

ثم يستنتج رحمه الله من هذا الدليل أيضاً أن لله المشيئة المطلقة؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وأن من أسند شيئاً من أمور الخلق إلى غير الله فقد افترى على الله الكذب، وأتى بغاية الكفر والضلال؛ لأنه جل وعلا المتفرد بالخلق والأمر، والمستحق للعبادة وحده سبحانه و تعالى.

سابعاً : جريان السفن :

من آيات الله الباهرة الدالة على عظمته وقدرته وأنه المعبود وحده : جريان السفن على ظهر البحر، وتسخيرها للناس ؛ فتعبر بهم المحيطات، وتنقل أثقالهم إلى بلاد بعيدة بيسر وسهولة وأمان، محفوظة - بحفظ الله سبحانه - من الأخطار.

وهذه الآية الكونية برهان عظيم على أن الخالق الحافظ القادر هو الله سبحانه وتعالى، وهو المستحق لأن يعبد وحده، ولا يشرك معه شيء من مخلوقاته.

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذا البرهان عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام﴾[1] ؛ فقال : «أي من علاماته الدالة على قدرته واستحقاقه للعبادة وحده : الجواري ؛ وهي السفن، واحدتها جارية، ومنه قوله تعالى : ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾[2] ؛ يعني سفينة نوح، وسميت جارية : لأنها تجري في البحر . . . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن جريان السفن في البحر من آياته تعالى الدالة على كمال قدرته، جاء موضحاً في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى : ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون * وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون* إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين﴾[3] وقوله تعالى : ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾[4]، وقوله تعالى : ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع

(١) سورة الشورى، الآية [٣٢].

(٢) سورة الحاقة، الآية [١١].

(٣) سورة يس، الآيات [٤١ - ٤٤].

(٤) سورة العنكبوت، الآية [١٥].

الناس﴾ إلى قوله: ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾[1]. وقوله تعالي في سورة النحل: ﴿وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله﴾ الآية[2]. وقوله في فاطر: ﴿وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله﴾ الآية [3] والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة»[4].

فالشيخ الأمين رحمه الله يستدل على استحقاق الله للعبادة بجريان السفن التي تحمل الأثقال - في خضم البحر المتلاطم الأمواج - بيسر وسهولة، مكلوءة بحفظ الله سبحانه وتعالى، ولا ريب أن هذه الآية الكونية من آثار رحمة الله، ودلائل قدرته ووحدانيته وألوهيته، وهي واضحة للعيان، ولكل طالب للحق.

(١) سورة البقرة، الآية [١٦٤].

(٢) سورة النحل، الآية [١٤].

(٣) سورة فاطر، الآية [١٢].

(٤) أضواء البيان ٧/ ١٩٤.

المطلب الثالث

أدلة بطلان إلهية ما سوى الله

بعد أن ذكر الشيخ الأمين رحمه الله تعالى البراهين العظيمة الدالة على أن المعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى المتصف بصفات الجلال والكمال. أكد أن هناك براهين قطعية دلت على أن الآلهة المعبودة من دون الله باطلة، وعبادتها لا يرضى بها صاحب العقل السليم؛ إذ أنها متصفة بصفات النقص الدالة على العجز، والتي ينزه المعبود بحق عن الاتصاف بها.

يقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾[1]: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الآلهة التي يعبدها المشركون من دونه متصفة بستة أشياء، وكل واحد منها برهان قاطع أن عبادتها مع الله لا وجه لها بحال، بل هي ظلم متناه، وجهل عظيم، وشرك يخلد به صاحبه في نار جهنم، وهذا بعد أن أثنى الله على نفسه جل وعلا بالأمور الخمسة المذكورة في الآية التي قبلها، التي هي براهين قاطعة على أن المتصف بها هو المعبود وحده.

والأمور الستة التي هي من صفات المعبودات من دون الله:

الأول منها: أنها لاتخلق شيئاً؛ أي لا تقدر على خلق شيء.

والثاني: أنها مخلوقة كلها؛ أي خلقها خالق كل شيء.

---

(١) سورة الفرقان، الآية [٣].

والثالث : أنها لا تملك لأنفسها ضراً ولا نفعاً.

والرابع والخامس والسادس : أنها لا تملك موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً؛ أي بعثا بعد الموت. وهذه الأمور الستة المذكورة في هذه الآية الكريمة جاءت مبينة في مواضع أخر من كتاب الله تعالى»[1].

ثم ذكر رحمه الله الآيات الدالة على هذا المعنى.

فاستدل للأمر الأول؛ وهو كون الآلهة المعبودة من دون الله لا تخلق شيئاً، بقوله تعالى ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له﴾ الآية[2]. وبقوله تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المفضلين عضداً﴾[3].

وقد بين تعالى في آيات من كتابه الفرق بين من يخلق ومن لا يخلق، لأن من يخلق هو المعبود، ومن لا يخلق لا تصح عبادته:

كقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم﴾ الآية[4]: أي: وأما من لم يخلقكم فليس برب، ولا بمعبود لكم كما لا يخفى. وقوله تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾[6]؛ أى ومن كان كذلك فهو المعبود وحده جل وعلا. وقوله تعالى: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾[7].

---

(١) أضواء البيان ٦/ ٢٦٩.

(٢) سورة الحج، الآية [٧٣].

(٣) سورة الكهف، الآية [٥١].

(٤) سورة البقرة، الآية [٢١].

(٥) سورة النحل، الآية [١٧].

(٦) سورة الرعد، الآية [١٩].

(٧) سورة الأعراف، الآية [١٩١].

واستدل للأمر الثانى ؛ وهو كون الآلهةالمعبودة من دون الله مخلوقة بقوله تعالى : ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾[1]، وبقوله تعالى : ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾[2].

واستدل للأمر الثالث ؛ وهو كونهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً بقوله تعالى : ﴿أيشركون مالايخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾[3] - ومن لا ينصر نفسه فهو لا يملك لها ضراً ولا نفعاً- ، وبقوله تعالى : ﴿والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾[4].

واستدل للأمر الرابع والخامس والسادس ؛ وهي كونهم لا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً بقوله تعالى : ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[5] ؛ فقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ يدل دلالة واضحة على أن شركاءهم ليس واحد منهم يقدر أن يفعل شيئاً من ذلك المذكور في الآية؛ ومنه الحياة المعبر عنها بـ«خلقكم» ، والموت المعبر عنه بقوله : «ثم يميتكم»، والنشور المعبر عنها بقوله : «ثم يحييكم».

وبين أنهم لا يملكون حياة ولا نشورا في قوله : ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده، قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ الآية[6].

(١) سورة النحل، الآية [٢٠].
(٢) سورة الأعراف، الآية [١٩١].
(٣) سورة الأعراف، الآيتان [١٩١ - ١٩٢].
(٤) سورة الأعراف، الآية [١٩٧].
(٥) سورة الروم، الآية [٤٠].
(٦) سورة يونس، الآية [٣٤].

وبين أنه وحده الذي بيده الموت والحياة في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إلا جاء أجلها﴾ الآية[2]. . . إلى آخر ما أورده الشيخ رحمه الله من أدلة في هذا الباب[3].

فالشيخ رحمه الله يهتم بإبراز براهين التوحيد، ويعرضها بأسلوبه، وعلى طريقته في تفسير القرآن بالقرآن، مؤكداً دلالتها على أن الله تعالى هو المعبود بحق وحده لا شريك له، وأن عبادة من دونه من أظلم الظلم، ومن الشرك الأكبر الذي يخلد صاحبه في النار - عياذا بالله تعالى - .

---

(١) سورة آل عمران، الآية [١٤٥].

(٢) سورة المنافقون، الآية [١١].

(٣) انظر أضواء البيان ٦/ ٢٦٩ - ٢٧١. وانظر أيضاً: المصدر نفسه ٤/ ٣١، ٣٢، ٥/ ٨٣٣.
وقد أشار الرازي إلى هذه البراهين في تفسيره (التفسير الكبير ٢٤/ ٤٨).

المبحث الثالث

أنواع العبادة

تمهيد :

العبادة منهج عملي شامل ، وفق الأدلة الشرعية الثابتة .

عرفها الشيخ الأمين رحمه الله بقوله : «العبادة لغة : الذل والخضوع ؛ فكل مذلل : معبد . ومنه قيل للرقيق : عبد وقال الشاعر :

تباري عتاقاً جاريات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد[1]

وفي الاصطلاح : التقرب إلى الله جل وعلا بامتثال ما شرع وأمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، على وجه الخضوع والذل والمحبة»[2] .

أما عن كمال العبودية ، فقد ذكر رحمه الله لها شرطين ، لابد من اجتماعهما بها ؛ وهما غاية الحب ، وغاية الخضوع والذل ، يقول رحمه الله عند تفسير قوله سبحانه وتعالى حكاية عن هود : ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾[3] : «فكل التكليفات والحقوق مندرجة تحت هذه الكلمة ، ولهذا قال نبي الله هود : «اعبدوا الله» ؛ أي تقربوا إليه وحده بما أمركم بالتقرب به إليه من العبادات على وجه الخضوع والذلّ والمحبة ، فلا تكفى المحبة دون الخضوع والذلّ ؛ لأنه قد يكون خاضعاً لمن يبغضه ، تحت قهره وسلطانه ، وباجتماع ذلك يحصل كمال العبودية لله»[4] .

---

(١) من معلقة طرفة بن العبد ، (انظر : شرح المعلقات العشر ص ٤٣) .

(٢) معارج الصعود ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) سورة هود ، الآية [٥٠] .

(٤) معارج الصعود صـ١٣٦ .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام حول هذا المعنى في رسالة العبودية (انظر : العبودية صـ١٢٧) .

والعبادة تكون بالقلب واللسان والجوارح، وكلّ واحد من هذه الأقسام تندرج تحته أنواع كثيرة. فهي باب واسع دعا الله عباده إلى ولوجه، والسير فيه لنيل مرضاته؛ قال تعالى: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[1].

وفي هذا المبحث سأذكر بعض ما تطرق إليه الشيخ رحمه الله من أنواع العبادة أثناء تفسيره لكتاب الله العزيز.

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٥٣).

المطلب الأول

الدعـــاء

وهو افتقار، وتذلل، وطلب ممن يملك النفع والضر في جلب خير، أو دفع شرّ.

وهو من أعظم أنواع العبادة ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الدعاء هو العبادة، وقرأ : ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم - إلى قوله - داخرين﴾(١)، (٢).

وفيه مسائل :

المسألة الأولى: نوعا الدعاء :

الدعاء ينقسم إلى نوعين ؛

- دعاء مسألة ؛ وهو سؤال الله بأسمائه الحسنى.

- دعاء عبادة : وهو التعبد لله بمقتضى هذه الأسماء والنوعان متلازمان(٣).

وقد أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى هذين النوعين، وبين أنه لا اختلاف بينهما : لأنّ من دعا الله فقد تحققت منه العبودية.

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾(٤) : « قال

---

(١) سورة غافر، الآية [٦٠].

(٢) سنن الترمذي ٢١١/ ٥، وقال : «هذا حديث حسن صحيح»

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١٥/ ١٠ - ١١ . واقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٧٨. وبدائع الفوائد ١/ ١٦٤، ٣/ ٢ - ٣.

(٤) سورة غافر، الآية [٦٠].

بعض العلماء : «ادعوني استجب لكم» اعبدوني أثيبكم عن عبادتكم. ويدلّ لهذا قوله بعده: ﴿إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾. وقال بعض العلماء «أدعوني أستجب لكم»: أي اسألوني أعطكم. ولا منافاة بين القولين ؛ لأنّ دعاء الله من أنواع عبادته»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله موضحاً هذا المعنى : «إن المعبود لابد أن يكون مالكاً للنفع والضر، فهو يدعى للنفع والضر دعاء مسألة. ويدعى خوفاً ورجاء دعاء العبادة. فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، وعلى هذا فقوله: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾[2] يتناول نوعي الدعاء، وبكلّ منها فسرت الآية ؛ قيل : أعطيه إذا سألني، وقيل: أثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان، وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك فى معنييه كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً»[3].

وهذا ما بينه الشيخ الأمين رحمه الله وأوضحه : أن من دعا الله دعاء المسألة فقد اعترف أنه المعبود النافع الضار وحده.

المسألة الثانية : إخفاء الدعاء:

أوضح الشيخ رحمه الله أن إخفاء الدعاء أعظم من الجهر به ورفع الصوت، فقال رحمه الله فى تفسير قوله تعالى: ﴿إذ نادى ربه نداء

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٩٦. وانظر أيضاً المصدر نفسه ١/ ١٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية [١٨٦].

(٣) الفتاوى ١٥/ ١٠ - ١١.

وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٧٨ - ٧٧٩. وبدائع الفوائد ٣/ ٢ - ٣. وزاد المعاد ١/ ٣٣٥.

خفياً﴾[1] : «أي دعاه في سر وخفية. وثناؤه جل وعلا عليه بكون دعائه خفياً يدلّ على أن إخفاء الدعاء أفضل من إظهاره وإعلانه. وهذا المعنى المفهوم من هذه الآية جاء مصرحاً به في قوله تعالى : ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية﴾ الآية[2]، وقوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾[3]. وإنما كان الإخفاء أفضل من الإظهار لأنه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء»[4]

وما ذهب إليه الشيخ الأمين رحمه الله من أن إخفاء الدعاء أفضل من الجهر به قاله جمع غفير من العلماء[5].

فالشيخ الأمين رحمه الله إنما أراد بقوله : «إخفاء الدعاء أفضل من إظهاره» أن يؤكد أن ذلك أقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن الرياء. وإذا كان الدعاء كذلك فهو أحرى بالإجابة.

المسألة الثالثة : النهي عن التعدي في الدعاء :

يوضح الشيخ رحمه الله أنه لا ينبغي أن يطلب من الله ما ليس فيه مصلحة للسائل خوفاً أن يكون مما لا يرضاه الله ولا يحبه، فيقع السائل في المحظور.

يقول رحمه الله موضحاً هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿فلا تسألنِ ما

---

(١) سورة مريم، الآية [٣].

(٢) سورة الأنعام، الآية [٦٣].

(٣) سورة الأعراف، الآية [٥٥].

(٤) أضواء البيان ٤/ ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٥) منهم على سبيل المثال : القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٤٣ ، ١١ / ٥٢. وشيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ١٥/ ١٥ - ١٩ . وابن القيم في بدائع الفوائد ٣/ ٦ - ٩. والألوسي في روح المعاني ١٦ ــ ٥٦. وغيرهم.

ليس لك به علم﴾[1] : «أي لا تطلب مني الشيء الذي لا تعلم أن في طلبك إياه مصلحة؛ لأنك إذا سألت شيئاً لا ينبغي وقوعه فقد طلبت من الله أن يفعل مالاينبغي. فكأنك هنا قلت: اللهم أنج كافراً من الكفار. فإذا جهلت شيئاً فتوقف حتى تعلم أن المصلحة في طلبه. ويؤخذ من هذه الآية الكريمة: أن العبد إذا اشتبه عليه الأمر في شيء: هل في سؤاله ربه أن يقضيه مصلحة أو لا؟ فإنه لا يسأل الله ذلك خوفاً من أن يكون مما يسخط الله تعالى... ويؤخذ من هذا أنه لو علمك إنسان دعاء أعجمياً لا تعرف معناه لا ينبغي أن تدعو به»[2]

وما ذكره الشيخ رحمه الله هنا من النهي عن التعدي فى الدعاء وسؤال الله ما لا ينبغي سؤاله: ذكره غيره من العلماء، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات. وتارة يسأل ما لا يفعله الله؛ مثل أن يسأل تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازمه البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب، ويسأله بأن يطلعه على غيبه، أو أن يجعله من المعصومين، أو يهب له ولدا من غير زوجة، ونحو ذلك من سؤاله اعتداء لا يحبه الله، ولا يحب سائله»[3].

---

(١) سورة هود، الآية [٤٦].

(٢) معارج الصعود صـ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) الفتاوى ١٥/ ٢٢.

وانظر: بدائع الفوائد ٣/ ١٣. وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٥٠٢ - ٥٠٣. وتفسير المنار ١٢/ ٨٥.

المطلب الثاني

التـــوكـــــل

هو الثقة بالله، والاعتماد عليه، والاستعانة به مع الأخذ بالأسباب.

وهو من أعظم أنواع العبادة، ولا يتم إيمان العبد إلا به؛ قال تعالى: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾[2].

عرفه الشيخ الأمين رحمه الله بقوله: «التوكل على الله: الثقة به، وإسناد الأمور وتفويضها إليه مع تعاطي الأسباب؛ لأن الله أمر بها. ولابد مع تعاطيها من الثقة بأنه لا يقع إلا ما أراد الله تعالى»[3].

وهو رحمه الله حين وضح أن التوكل اعتماد على الله، وثقة به مع تعاطي الأسباب أكد أن التوكل لا يكون إلا على من يستحق العبادة، وهو الله جل وعلا؛ يقول رحمه الله عند تفسير سورة الفاتحة: «وإتيانه بقوله: ﴿وإياك نستعين﴾ بعد قوله: ﴿إياك نعبد﴾ فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتوكل إلا على من يستحق العبادة؛ لأن غيره ليس بيده الأمر. وهذا المعنى المشار إليه هنا جاء مبيناً واضحاً في آيات أخر، كقوله تعالى: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ الآية[4]، وقوله: ﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت﴾[5]، وقوله: ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه

---

(١) سورة هود، الآية [١٢٣].

(٢) سورة المائدة، الآية [٢٣].

(٣) معارج الصعود صـ ٣٠٧.

(٤) سورة هود، الآية [١٢٣].

(٥) سورة التوبة، الآية [١٢٩].

وكيلاً﴾[1] وقوله : ﴿قل هو الرحمن آمنّا به وعليه توكلنا﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات[3].

ويذكر رحمه الله الأدلة على أن التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب فيقول : «ومن الأدلة على ذلك : قول الله تعالى لمريم : ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً﴾[4] ، مع أنه تعالى لو أراد لأسقطه لها بدون هز منها. ومن أوضح الأدلة على ذلك قول يعقوب - الذي وصفه الله بالعلم في قوله : ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾[5] : ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾[6] محافظة عليهم من العين، ثم قال: ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾[7]، فقد أخذ بالأسباب والحيطة، وصرح بأن الاعتماد على الله تعالى وحده، فهو متوكل وآخذ بالأسباب. ومما يدل أن السبب لا ينفع إلا بإرادة الله ما قصه الله في سورة الأنبياء وغيرها عن إبراهيم عليه السلام ؛ فالنار طبيعتها المستمرة: الإحراق، ولكن عندما لم يرد الله لها أن تؤثر فى إبراهيم أحرقت الحطب، وكانت عليه برداً وسلاماً في آن واحد ؛ كما قال تعالى: ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾[8]. فالمؤثر في الحقيقة هو رب العالمين، ولو شاء أن تتخلف مقتضيات الأسباب لتخلفت، كما أنه لو شاء أن يجعل ما لم تجر العادة بأن يكون من الأسباب سبباً لجعله كذلك»[9].

---

(١) سورة المزمل، الآية [٩].
(٢) سورة الملك، الآية [٢٩].
(٣) أضواء البيان ١/ ١٠٤.
(٤) سورة مريم، الآية [٢٥].
(٥) سورة يوسف، الآية [٦٨].
(٦) سورة يوسف، الآية [٦٧].
(٧) سورة يوسف، الآية [٦٧].
(٨) سورة الأنبياء، الآيتان [٦٨ -٦٩].
(٩) معارج الصعود ص-٢١٤. وانظر المصدر نفسه ص ١١٣ ، ٣٠٧.

وهذا الذي بينه الشيخ رحمه الله من أن التوكل لا يتم إلا بالأسباب مع الاعتقاد أن الأسباب لا تفيد إلا إذا أرادها الله سبحانه وتعالى أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله : «فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد. ومحو الأسباب أن تكون أسباباً : نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع. فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله. لا على سبب من الأسباب ، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة، فإن كانت الأسباب مقدورة له، وهو مأمور بها فعلها مع التوكل على الله ؛ كما يؤدي الفرائض، وكما يجاهد العدو ويحمل السلاح ويلبس جنة الحرب، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد ومن ترك الأسباب المأمور بها، فهو عاجز مفرط مذموم»(١).

وأما عن ثمرات هذا التوكل، فيذكر الشيخ الأمين رحمه الله أن التوكل الصحيح على الله سبب للوقاية من كل مكروه، والحفظ من كل شر ؛ يقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد * فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾(٢) : «دليل واضح على أن التوكل الصادق على الله، وتفويض الأمور إليه : سبب للحفظ والوقاية من كل سوء. . . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون التوكل على الله سبباً للحفظ والوقاية من السوء جاء مبيناً في آيات أخر ، كقوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾(٤)»(٥).

(١) الفتاوى ٨/ ٥٢٨ - ٥٢٩.
وانظر : مدارج السالكين ٢/ ١٢٠. وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٥٢٠.
(٢) سورة غافر، الآيتان [٤٤ - ٤٥].
(٣) سورة الطلاق، الآية [٣].
(٤) سورة آل عمران، الآية [١٧٣ - ١٧٤].
(٥) أضواء البيان ٧/ ٨٩.

المطلب الثالث

الولاء والبراء

الولاء والبراء نوعان من أنواع العبادة، وهما بمعنى الحب والبغض.

والولاء الذي هو الحب والنصر يكون لله ولرسوله ولدينه ولعباد الله الصالحين.

والبراء الذي هو البغض يكون لكل عدو لله ولرسوله ولعباد الله الصالحين.

ولا يتم إيمان العبد إلا بالولاء والبراء؛ قال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾[1].

وقد بين الشيخ رحمه الله هذا الموضوع أتم بيان، وأوضح أن من تولى الكفار وأحبهم فهو منهم، قد انسلخ من إيمانه، إلا أن يكون ذلك بسبب الخوف من سطوتهم وبطشهم، فله الرخصة في مداراتهم في الظاهر دون الباطن.

يقول رحمه الله مبيناً هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾[2]: «ذكر في هذه الآية الكريمة أن من تولى اليهود والنصارى من المسلمين فإنه يكون منهم بتوليه إياهم، وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله، والخلود في عذابه، وأن متوليهم لو كان مؤمناً ما تولاهم، وهو قوله تعالى: ﴿ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا

(١) سورة البقرة، الآية [٢٥٦].

(٢) سورة المائدة، الآية [٥١].

لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون* ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾[1]، ونهى فى موضع آخر عن توليهم مبيناً سبب التنفير منه، وهو قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة ما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾[2]. وبين فى موضع آخر أن محل ذلك فيما إذا لم تكن الموالاة بسبب خوف وتقية، وإن كانت بسبب ذلك فصاحبها معذور، وهو قوله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾[3]: فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكلّ الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقاً، وإيضاح الكلام: لأنّ محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية فيرخص في موالاتهم بقدر المداراة التي يتقى بها شرهم. ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة:

ومن يأت الأمور على اضطرار فليس كمثل آتيها اختياراً

ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمداً اختياراً رغبة فيهم أنه كافر مثلهم»[4].

وهذا الذي ذكره الشيخ رحمه الله أورد نحوه الإمام ابن جرير الطبري[5]

---

(١) سورة المائدة، الآيتان [٨٠ - ٨١].

(٢) سورة الممتحنة، الآية [١٣].

(٣) سورة آل عمران، الآية [٢٨].

(٤) أضواء البيان ٢/ ١١٠ - ١١١.

وانظر تفصيل ذلك أيضاً في: المصدر نفسه ٢/ ٤٣١، ٤٨٤، ٧/ ٢٢٩، ٨٢٤. ومعارج الصعود صـ ١٤٤.

(٥) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، صاحب التفسير والتاريخ وتهذيب الآثار. إمام ثقة حافظ. ولد سنة (٢٤٠هـ)، وتوفي في بغداد سنة (٣١٠هـ).

(انظر: البداية والنهاية ١١/ ١٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧).

رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين. .﴾[1]، فقال: «لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم؛ فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء؛ يعني بذلك: فقد برىء من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر، إلا أن تتقوا منهم تقاة، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل»[2].

والشيخ الأمين رحمه الله حين وضح أنه لا موالاة مع الكفار إلا في الظاهر في حال الخوف والتقية أكد رحمه الله على الموالاة بين المؤمنين بعضهم مع بعض، لوحدة رابطة «لا إله إلا الله» التي تجمعهم؛ يقول رحمه الله موضحاً هذا المعنى: «إن الرابطة التى يجب أن يعتقد أنها هي التي تربط بين أفراد المجتمع وأن ينادى بالارتباط بها دون غيرها إنما هي دين الإسلام؛ لأنه هو الذي يربط بين أفراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. فربطُ الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك، ورجلك بساقك»[3]

وقال رحمه الله أيضاً في موضع آخر: «واعلم أنه لا خلاف بين العلماء. . . في منع النداء برابطة غير الإسلام؛ كالقوميات، والعصبيات النسبية، ولاسيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة

---

(١) سورة آل عمران، الآية [٢٨].

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٢٢٨ .

(٣) أضواء البيان ٣/ ٤٤١ .

الإسلام وإزالتها بالكلية، فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقي: أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام، ورفض الرابطة السماوية رفضاً باتاً، على أن يعتاض عن ذلك بروابط عصبية قومية، مدارها على أن هذا من العرب، وهذا منهم أيضاً مثلاً. فالعروبة لا يمكن أن تكون خلفاً من الإسلام، واستبدالها به صفقة خاسرة» (١).

وقال رحمه الله أيضاً: «وبالجملة فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض، وتربط بين أهل الأرض والسماء هي رابطة «لا إله إلا الله» فلا يجوز النداء البتة برابطة غيرها، ومن والى الكفار بالروابط النسبية محبة لهم، ورغبة فيهم يدخل في قوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾(٣)، والعلم عند الله تعالى»(٤).

وقال رحمه الله مبيناً موقف المسلم من قريبه الكافر: «. . . وأن منع النداء بروابط القوميات لا ينافي أنه ربما انتفع المسلم بنصرة قريبه الكافر بسبب العواطف النسبية. والأوامر العصبية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة؛ كما وقع من أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم. وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»(٥). ولكن تلك القرابات النسبية لا يجوز أن تجعل هي الرابطة بين المجتمع؛ لأنها تشمل المسلم والكافر، ومعلوم أن المسلم عدو الكافر، كما

---

(١) أضواء البيان ٣/ ٤٤٥.

(٢) سورة المائدة، الآية (٥١).

(٣) سورة الأنفال، الآية (٧٣).

(٤) أضواء البيان ٣/ ٤٤٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد ٣/ ١١١٤ رقم ٢٨٩٧. ومسلم في صحيحه (١/ ١٠٦)، كلاهما من حديث أبي هريرة.

قال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ الآية [1] . . . » [2].

فالشيخ الأمين رحمه الله يؤكد بهذا أن الولاء والبراء قائم على بغض الكفر وأهله ومعاداتهم، وعدم موالاتهم حتى تبقى للمسلم شخصيته المتميزة بإيمانه بربه، واعتزازه بدينه.

كما يؤكد رحمه الله أنه لارابطة تجمع الناس وتوحد بينهم إلا رابطة «لا إله إلا الله»؛ تلك الرابطة المتينة، والعروة الوثقى التي تؤلف بين الأمم والأفراد والشعوب والقبائل.

ويكشف رحمه الله أباطيل دعاة القومية العربية؛ تلك الدعوة الجاهلية المجردة عن العقيدة، والتي تساوي بين الإسلام والكفر، وتلغي رابطة الدين، وتحل محلها رابطة الوطن والجنس.

فالقومية من الحركات الهدامة المعاصرة التي ابتلي بها المسلمون في هذا الزمن، وقد حذر منها العلماء والمصلحون، وبينوا أنها حركة هدم وتخريب، تحاول اجتثاث الإسلام من جذوره واستئصال شأفته.

ومن العلماء الذين كشفوا زيف هذه الدعوة المضللة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز[3] حفظه الله؛ حيث بين بطلان هذه الحركة وما انطوت عليه من خدع وتمويه، وتلبيس على السذج الذين يتبعون كل ناعق، فينبذون دينهم الذي ارتضاه الله لهم؛ ذلك الدين العالمي الخالد الذي يوحد بين

(١) سورة المجادلة، الآية [٢٢].

(٢) أضواء البيان ٣/ ٤٤٧.

وقد أطال الشيخ رحمه الله النفس في هذا الموضوع؛ فقد تحدث عنه في الجزء الثالث من تفسيره في صفحة (٤٨ - ٤٩)، ومن صفحة (٤٤١)، وحتى صفحة (٤٤٨). ومثل هذا الكلام ورد في كتاب معارج الصعود صـ ٢٢٣ (جمعه/ تلميذه د. عبد الله قادري).

(٣) هو العلامة أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن باز. ولد في الرياض عام (١٣٣٠هـ)، وتلقى العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض، يشغل حال إعداد هذا البحث منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. (انظر: علماؤنا ص ٢٩. مقدمة مجموعة فتاوى مقالات متنوعة ١/ ٩).

الشعوب والقبائل والأوطان برابطة «لا إله إلا الله» . فالأخوة فى الإسلام فوق أى اعتبار آخر ؛ لأن لها ضابطاً وقيماً عظيمة، وغاية تصل إليها : فضابطها الكتاب والسنة ؛ - إذ أن الحبّ لله، والبغض لله، كما هو موضح فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ، وقيمها مجموع الدين الإسلامي، وغاية هذه الرابطة هي الجنة دار الأبرار المتحابين في الله .

وقد أوضح الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله - في معرض كشفه عن زيف دعوى القومية العربية - الأخطاء التي تمثلها هذه الدعوة الفاسدة المفسدة، وهي :

أولاً : أن القومية تفرق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي، وتفرق بين العرب أنفسهم ؛ فهي معول هدم غربي استعماري يراد به تفريقنا وإبعادنا عن ديننا الذي فيه مجدنا الأكبر، وشرفنا الأعظم، وهو مصدر عزتنا، وسيادتنا، وتقدمنا على الأمم .

ثانياً : إن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها، والدعوة إلى القومية من أمر الجاهلية ؛ لأنها دعوة إلى غير الإسلام، ومناصرة لغير الحقّ. وكم جرّت الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة وقودها النفوس والأموال والأعراض، وعاقبتها تمزيق الشمل، وغرس العداوة والشحناء فى القلوب، والتفريق بين القبائل والشعوب .

وأيضاً : إن الدعوة إلى القومية دعوة إلى البغي والفخر ؛ لأن القومية ليست ديناً سماوياً يمنع أهله من البغي والفخر، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها، والتعصب لها، والتعدي على من تطاول عليها بشيء، وإن كانت هي الظالمة وغيرها المظلوم .

ثالثاً : إنها سلم إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين، واتخاذهم بطانة، والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم .

ويقولون : إن نظامها لا يفرق بين عربي وعربي وإن تفرقت أديانهم، فهل هذا إلا مصادمة لكتاب الله، ومخالفة لشرع الله، وتعدّ لحدود الله، وموالاة ومعاداة وحبّ وبغض على غير دين الله؟! . ما أعظم ذلك من باطل، وما أسوأه من منهج : القرآن يدعو إلى موالاة المؤمنين، ومعاداة الكافرين أينما كانوا، وكيفما كانوا، وشرع القومية العربية يأبى ذلك ويخالفه .

رابعاً : إن الدعوة إلى القومية، والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع -بلاريب - إلى رفض حكم القرآن : لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن، فيوجب ذلك على زعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن، حتى يستوي مجتمع القوميين في تلك الأحكام، وقد صرح الكثير منهم بذلك، وهذا هو الفساد العظيم، والكفر المستبين، والردة السافرة[1] .

وهكذا نرى كلام الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله يهتك أستار هذه الدعوة، ويبين أهدافها وكيدها للإسلام وأهله، ويوضح بجلاء انعدام معتقد الولاء والبراء الشرعي عند معتنقيها .

وهذا الكلام يخرج وكلام الشيخ الأمين رحمه الله من مشكاة واحدة ؛ إذ أن الشيخ الأمين رحمه الله وضح ، وبيّن، وأبدأ ، وأعاد، وأبان أنه لارابطة تجمع أهل الأرض ، وتربطهم بأهل السماء إلا رابطة«لا إله إلا الله» .

وكلا الشيخين ؛ أعني الشيخ الأمين رحمه الله ، والشيخ ابن باز حفظه الله أدركا خطر هذه الدعوة الضالة المضلة، وكشفا مخططاتها وأهدافها،

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١/ ٢٨٩ - ٣٠٩- باختصار وتصرف- .

وبينّا أنها دعوة إلى الجاهلية التي أنقذنا الله منها. فحذر الشيخان الأمة منها، ومن شرورها، ومن مغبة السير في ركابها، فأديا بذلك واجب النصح للأمة، فجزاهما الله إرشادهما ونصحهما خير الجزاء.

المطلب الرابع

الخوف والرجاء

امتدح الله من عباده من يجمع في عبادته له سبحانه بين الخوف والرجاء، بقوله: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾[1].

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين هاتين العبادتين معلماً بذلك عباده، كي لا يكون المؤمن من القانطين فيما لو اكتفى بالخوف، وترك الرجاء، وكي لا يكون من الآمنين من مكر الله فيما لو اكتفى بالرجاء وترك الخوف من الله.

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾[2]، فقال: «بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم، وأنه شديد العقاب، فجمع بين الوعد والوعيد ليعظم رجاء الناس في فضله، ويشتد خوفهم من عقابه وعذابه الشديد؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضرّ. فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة. وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين﴾[3]، وقوله: ﴿إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾[4]، وقوله جل وعلا:

(١) سورة الإسراء، الآية [٥٧].

(٢) سورة الرعد، الآية [٦]

(٣) سورة الأنعام، الآية [١٤٧].

(٤) سورة الأنعام، الآية [١٦٥].

﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾[1]، وقوله: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول﴾ الآية[2]، إلى غير ذلك من الآيات»[3].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «فاعلم أنهما متلازمان؛ فمن كان يرجو ما عند الله من الخير، فهو يخاف ما لديه من الشر كالعكس»[4]

وفي الأشرطة أوضح رحمه الله موقف الإنسان من الخوف والرجاء حال حياته وعند مماته، فسمعته رحمه الله يقول: «وقد أمرنا الله أن نكون في دعائه خائفين من عذابه وعقابه ونكاله، وطامعين في فضله ورحمته ورأفته وجوده وما عنده من الخير؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في أمرين: جلب النفع، ودفع الضر. وإذا كان من يعبد الله، أو يدعو الله يستشعر الخوف من الله، والطمع في ثوابه وما عنده من الخير كان الخوف والطمع جناحين يطير بهما إلى الاستقامة... وينبغي للمسلم إذا دعا الله أو عبد الله أن يكون جامعا بين الخوف من الله، والطمع فيما عند الله جلّ وعلا، فلا يترك الرجاء لئلا يكون من القانطين ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[5]، ولا يترك الخوف فيأمن مكر الله؛ لأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. فيكون خائفاً من الله، طامعا راجياً من فضل الله. والعلماء يقولون: ينبغى للإنسان وهو فى أيام صحته أن يغلب الخوف دائماً على الرجاء، وأن يكون خوفه أغلب من رجائه، فإذا حضره الموت غلب الرجاء في ذلك ليطغى على الخوف فلا ينبغي للمؤمن أن يموت إلا وهو

(١) سورة الحجر، الآيتان [٤٩ - ٥٠].

(٢) سورة غافر، الآية [٣].

(٣) أضواء البيان ٣/ ٧٩ - ٨٠.

(٤) أضواء البيان ٤/ ٢٠٠.

(٥) سورة يوسف، الآية [٨٧].

يحسن الظن بالله جل وعلا ؛ بأن ربه رؤوف رحيم، كما جاء بذلك الحديث[1] عن النبي صلى الله عليه وسلم»[2].

وما ذكره الشيخ الأمين رحمه الله عن الخوف والرجاء، وحال العبد بينهما أوضحه شارح الطحاوية رحمه الله بقوله : «فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً. وكلّ واحد إذا خفته هربت منه إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربت إليه ؛ فالخائف هارب من ربه إلى ربه»[3].

ثم بين شارح الطحاوية أيضاً موقف العبد من الخوف والرجاء في حياته فقال : «قيل : إنّ العبد ينبغي أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه، بخلاف زمن الصحة، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه»[4].

أنواع الخوف :

وفي الأشرطة يوضح الشيخ الأمين رحمه الله الخوف المذموم، والفرق بينه وبين الخوف الطبيعي الذي جبل عليه الإنسان ؛ فيقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ولم يخش إلا الله﴾[5] : «في هذه الآية الكريمة، وأمثالها في القرآن الكريم سؤال معروف، وهو أن يقال : لا يوجد أحد إلا وهو يخشى من غير الله ، ويخاف من غير الله ؛ لأنّ كل المخاوف والمحاذير جُبلت طبائع البشر على الخوف والخشية منها، والذي لم يخف شيئاً من

(١) يقصد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله عز وجلّ».
(رواه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٦).

(٢) الشريط الأول من سورة التوبة ، الوجه الثاني.

(٣) شرح الطحاوية ص ٣٧١ - ٣٧٢.

(٤) المصدر نفسه صـ ٣٧٢. وانظر : مدارج السالكين ٢/ ٥١.

(٥) سورة التوبة، الآية [١٨].

المخاوف والمحاذير هذا أمر صعب. والعلماء يجيبون عن هذا جوابين: بعضهم يقول: الخشية التي هي شرك بالله والتي يحذر الله منها هي خشية الأصنام والخوف من المعبودات من دون الله. وهذا النوع دلت عليه آيات كثيرة؛ لأن عبدة الأصنام يخوّفون من يسبّ الأصنام بأنّ الأصنام ستفعل له وتفعل؛ كما قالوا لنبي الله هود: ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله﴾ الآية[1]. وكذلك لما خوفوا منها نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقالوا له: ستفعل بك أصنامنا وتفعل، قال لهم: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾[2]. وخوف بها نبي الله صلوات الله وسلامه عليه؛ كما نص الله عليه في سورة الزمر فى قوله: ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾[3]، ثم ردّ عليهم، قال: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾[4]، وفي قراءة أخرى: ﴿كافي عباده﴾، وهذا كثير في القرآن، وهذه الخشية التي خاف صاحبها من عاقبة الأصنام كفر بالله وشرك به. وقال بعض العلماء: هي الخشية الدنيوية من الناس إذا كانت تحمل الإنسان على أن يعصي الله؛ كالذي يخشى من الكفار، ويجبن عن الجهاد في سبيل الله، كما تقدم فى قوله: ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾[5]. أما ما يعرض للإنسان من الخوف من الأشياء والمحاذير بجبلته، فهذا أمر لا مخالفة فيه؛ لأنّ الله لا

(١) سورة هود، الآيتان [٥٤-٥٥].

(٢) سورة الأنعام، الآية [٨١].

(٣) سورة الزمر، الآية [٣٦].

(٤) سورة الزمر، الآية [٣٦].

(٥) سورة التوبة، الآية [١٣].

يكلف نفساً إلا وسعها كما هو معلوم»[1]

وكلام الشيخ الأمين رحمه الله عن الخوف وأقسامه يؤيده كلام الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب[2] رحمهم الله أجمعين حين قسم الخوف، فذكر أنّ القسم الأول: خوف السرّ؛ وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما شاء من مرض أو فقر أو قتل، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، فمن اتخذ مع الله ندا يخافه هذا الخوف فهو مشرك، الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا الخوف من الناس، فهذا محرم. الثالث: خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة، وهو الذي قال الله فيه: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾[3]، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، وإنما يكون محموداً إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله. الرابع: وهو الخوف الطبيعي؛ كالخوف من عدو، وسبع، وهدم، وغرق، ونحو ذلك فهذا لا يذم، وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾[4]. . . إلخ[5]

وهكذا فالشيخ الأمين رحمه الله يفرق بين الخوف المذموم المفضي إلى الشرك، والموقع في معصية الله، وبين الخوف الطبيعي الذي جُبل عليه الناس؛ فهذا لامؤاخذة فيه لأنه خارج عن طاقة الإنسان وإرادته.

(١) سمعته بصوت الشيخ رحمه الله، في الشريط الثاني من تفسير سورة التوبة: الوجه الأول.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) سورة إبراهيم، الآية [١٤].

(٤) سورة القصص، الآية [٢١].

(٥) تيسير العزيز الحميد صـ٤٨٤ - ٤٨٦ - باختصار وتصرف - . وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٥٨.

المطلب الخامس

الحكم بما أنزل الله

رسالة الإسلام عامة تشمل جميع شئون الإنسان في هذه الدنيا. وهي تحقق له الخير العاجل والآجل، وتمنع من لحوق الضرر به فردا كان أو جماعة.

والحكم بما أنزل الله هو التطبيق لهذه الرسالة العالمية التي تربط المخلوق بالخالق، وتجعله خاضعاً منقاداً لأمر ربه ومالكه ومعبوده؛ قال تعالى: ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون﴾(١).

فالحكم بما أنزل الله من الإيمان بالله، ومعنى ألوهية الله ووحدانيته: إفراده بالعبادة، والخضوع له في الحكم، وتنفيذ أوامره ظاهراً وباطناً؛ فلا يتم الإيمان إلا بتحكيم شرع الله؛ قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾(٢).

يوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذا المعنى فيقول: «أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، ثمّ ينقاد لما حكم به ظاهراً وباطناً، ويسلم له تسليماً كلياً من غير ممانعة، ولا مدافعة، ولا منازعة، وبيّن في آية أخرى أنّ قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلي، والانقياد التام

(١) سورة القصص، الآية [٧٠].
(٢) سورة النساء، الآية [٦٥].

ظاهراً وباطناً لما حكم به صلى الله عليه وسلم، وهي قوله تعالى: ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ الآية[1] . . . [2].

ويقول رحمه الله في موضع آخر: «إن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله. فكلّ تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه كفر بواح لا نزاع فيه»[3].

ثم يسوق رحمه الله الأدلة من القرآن الكريم الدالة على أنّ الحكم لله وحده، فيقول: «وقد دلّ القرآن في آيات كثيرة على أنه لاحكم لغير الله، وأنّ اتباع تشريع غيره كفر به. ومن الآيات الدالة على أن الحكم لله وحده قوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله عليه توكلت﴾ الآية[5]، وقوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله يقصّ الحقّ وهو خير الفاصلين﴾[6]. وقوله: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾[8]، وقوله: ﴿كلّ شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم

(١) سورة النور، الآية [٥١].

(٢) أضواء البيان ١/ ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٣) أضواء البيان ٧/ ١٦٢. وانظر المصدر نفسه ٤/ ٨٢.

(٤) سورة يوسف، الآية [٤٠].

(٥) سورة يوسف، الآية [٦٧].

(٦) سورة الأنعام، الآية [٥٧].

(٧) سورة المائدة، الآية [٤٤].

(٨) سورة الكهف، الآية [٢٦].

(٩) سورة القصص، الآية (٨٨].

وإليه ترجعون﴾[1] ، والآيات بمثل ذلك كثيرة»[2] .

ثمّ لما ساق رحمه الله الأدلة على أن لاحكم إلا لله سبحانه وتعالى، ذكر الأدلة على أنّ صرف هذا الحقّ الخالص لله لغيره كفر به جلّ وعلا، فقال : «وأما الآيات الدالة على أنّ اتباع تشريع غير الله المذكور كفر : فهي كثيرة جداً ؛ كقوله تعالى : ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾[3]، وقوله تعالى : ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان﴾[5]، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً[6] .

وقد أطال رحمه الله في تقرير هذا المعنى في مواضع كثيرة من تفسيره، وذلك لأهميته، وكثرة من خرج عن منهج الله فحكم بغير ما أنزل الله في هذا العصر .

وقد أكد رحمه الله أنّ من حكم بغير ما أنزل الله فقد أشرك مع الله غيره، وخرج عن دائرة الإسلام ؛ قال رحمه الله : «إنّ كل من اتبع تشريعاً غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر بواح مخرج عن الملة الإسلامية . . . . والعجب ممن يحكّم غير تشريع الله، ثم يدعي الإسلام ؛ كما قال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾[7]، وقال : ﴿ومن لم يحكم بما

(١) سورة القصص، الآية [٧٠].
(٢) أضواء البيان ٧/ ١٦٢ - ١٦٣ .
(٣) سورة النحل، الآية [١٠٠].
(٤) سورة الأنعام، الآية [١٢١].
(٥) سورة يس، الآية [٦٠].
(٦) أضواء البيان ٧/ ١٦٣ .
(٧) سورة النساء، الآية [٦٠].

أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1] ، وقال: ﴿أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحقّ فلا تكونن من الممترين﴾[2] . . . . »[3].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «إن من اتبع تشريع الشيطان مؤثراً له على ما جاءت به الرسل، فهو كافر بالله، عابد للشيطان، متخذ الشيطان رباً، وإن سمى اتباعه للشيطان بما شاء من الأسماء، لأن الحقائق لا تتغير بإطلاق الألفاظ عليها كما هو معلوم»[4].

ويؤكد رحمه الله أنّ من ترك حكم الله، واستعاض عنه بحكم القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه، واتبعها فيما أحلت وحرمت، وجوّز التحاكم إليها رغم مخالفتها لحكم الله جلّ وعلا أنه كافر لا يشك في كفره، فيقول: «إن الذين يتبعون القوانين الوضعية التى شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جلّ وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم»[5].

وبهذا تتجلى وقفة الشيخ الحازمة في وجه من غيَّر حكم الله، وحكم بحكم الطواغيت، حيث إنه يقول بكفره، بل وبكفر كلّ من يشك في كفره.

وليس موقف الشيخ رحمه الله هذا على إطلاقه، بل نراه يبيّن في موضع آخر متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً مخرجاً عن الملة، ومتى يكون

(١) سورة المائدة، الآية [٤٤].

(٢) سورة الأنعام، الآية [١١٤].

(٣) أضواء البيان٣/ ٤٣٩ - ٤٤١.

(٤) أضواء البيان ١/ ٤٧٦ .

(٥) المصدر نفسه ٤/ ٨٣ - ٨٤. وانظر أيضاً: ٣/ ٤٤٠ ، ٤/ ٨٢، ٧/ ١٦٩ - ١٧٣.

صاحبه مرتكباً ذنباً محرماً لا يخرجه من دائرة الإسلام، فيقول رحمه الله : «إنّ الكفر والظلم والفسق كلّ واحد منها ربما أطلق في الشرع مراداً به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرى؛ ومن لم يحكم بما أنزل الله : معارضة للرسل، وإبطالاً لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة. «ومن لم يحكم بما أنزل الله» : معتقداً أنه مرتكب حراماً، فاعل قبيحاً، فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة»(١).

ورأي الشيخ رحمه الله هذا هو رأي الأئمة الأعلام قبله، من أمثال الإمام ابن القيم رحمه الله الذي قال: «إنّ الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين؛ الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم؛ فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصياناً مع اعترافه بأنه مستحقّ للعقوبة، فهذا كفر أصغر.

وإن اعتقد أنه غير واجب، وأنه مخير فيه، مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر. وإن جهله وأخطأه : فهذا مخطىء له حكم المخطئين»(٢).

وبهذا التفصيل الدقيق من ابن القيم رحمه الله في هذه المسألة ندرك مدى توافق عقيدة الشيخ الأمين رحمه الله مع عقيدة السلف قبله، وتتضح جهوده رحمه الله في تقرير عقيدة السلف والسير على منهجهم واتباع طريقهم.

ولم يكتف الشيخ الأمين رحمه الله ببيان أنّ الحكم بغير ما أنزل الله يتراوح بين أن يكون خروجاً عن ملة الإسلام، أو وقوعاً في كبيرة من كبائر

(١) أضواء البيان ٢/ ١٠٤.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٣٦ - ٣٣٧.

وانظر للاستزادة : شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي صـ٣٦٣ - ٣٦٤ - فإن له كلاما مشابهاً لكلام ابن القيم - . وتحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله صـ٥ - ٧ . فإنه فصّل في الموضوع، وجعل القسم المخرج من الملة ستة أنواع - . ومجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله ١/ ٨٤.

الذنوب، بل نراه يحذر المسلمين من الوعيد الذى توعد الله به من يتهاون في تنفيذ أوامره، أو يقصر في تحكيم شريعته بأنّ عاقبته وخيمة - عياذاً بالله تعالى- .

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم . .﴾الآية [1] : «اعلم أن كل مسلم يجب عليه في هذا الزمان تأمل هذه الآيات من سورة محمد، وتدبرها، والحذر التامّ مما تضمنته من الوعيد الشديد ؛ لأنّ كثيراً ممن ينتسبون للمسلمين داخلون بلا شك فيما تضمنته من الوعيد الشديد؛ لأنّ عامة الكفار من شرقيين وغربيين كارهون لما نزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وهو هذا القرآن، وما يبينه به النبي صلى الله عليه وسلم من السنن، فكل من قال لهؤلاء الكفار الكارهين لما نزّل الله : سنطيعكم في بعض الأمر، فهو داخل في وعيد الآية، وأحرى من ذلك من يقول لهم : سنطيعكم في كل الأمر ؛ كالذين يتبعون القوانين الوضعية مطيعين بذلك للذين كرهوا ما نزل الله، فإنّ هؤلاء لا شك أنهم ممن تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، وأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه، وأنه محبط أعمالهم ، فاحذر كل الحذر من الدخول في الذين قالوا: سنطيعكم في بعض الأمر»[2] .

والشيخ الأمين رحمه الله يفرق بين النظام الإداري الذي ينظم الأمور بدون مخالفة للشرع؛ فهذا لا يمنعه، أما النظام المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فالعمل به كفر بالله العظيم .

يقول رحمه الله: «اعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السموات والأرض، وبين النظام الذي لايقتضي ذلك، وإيضاح ذلك : أن النظام قسمان : إداري وشرعي»[3] .

(١) سورة محمد ، الآية [٢٥].

(٢) أضواء البيان ٧/ ٥٨٩ - ٥٩٠ . وانظر المصدر نفسه ٧/ ١٨١ .

(١) أضواء البيان ٤/ ٨٤ .

ثمّ يبين رحمه الله النظام الإداري وأدلته، فيقول: «أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع: فهذا لا مانع منه، ولا مخالف فيه من الصحابة فمن بعدهم. وقد عمل عمر رضي الله عنه من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ ككتابته أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط. ومعرفة من غاب ومن حضر. . . . فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تفعل لإتقان الأمور مما لا يخالف الشرع لابأس به؛ كتنظيم شئون الموظفين، وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع، فها النوع من الأنظمة الوضعية لابأس به، ولا يخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة»[1].

ثم يذكر رحمه الله النظام الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السموات والأرض، ويسوق أمثلة مما يحادد الله ورسوله بها من الأعمال التشريعية، فيقول رحمه الله: «وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض؛ كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث، وكدعوى أن تعدد الزوجات ظلم، وأن الطلاق ظلم للمرأة، وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان، ونحو ذلك. فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفر بخالق السموات والأرض، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق، وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى عن أن يكون معه مشرع آخر علوا كبيرا ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله﴾[2]، ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾[3]، ﴿ولا

(١) أضواء البيان ٤/ ٨٤.

(٢) سورة الشورى، الآية [٢١].

(٣) سورة يونس، الآية [٥٩].

تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾[1] . . . »[2] .

وهكذا نرى الشيخ الأمين رحمه الله مثالاً للمؤمن المجاهد المشفق على أمته، فيحذرها مغبة ما يحاك ضدها من دسائس لتكفر بخالقها فيحق عليها العذاب. ويبين لها أن من أطاع مشرعي القوانين التي تحاد شرع الله فقد استحق الوعيد الشديد من الجبار جل وعلا. وأن من اتبع شرع الله، وحكم الله في كل أمر من أموره صغيراً كان أو كبيراً نال سعادة الدنيا والآخرة.

وكذلك تتضح لنا سعة أفق الشيخ رحمه الله، ودقة فهمه وكثرة فقهه، إذ يفرق بين النظام الذي هو محادة لله ورسوله فيحذر منه، وبين النظام الذي لا يخالف قواعد الشرع، وينظم مصالح العباد، فلا يمنع منه ؛ إذ أنه من أمور الدنيا التي لا يخالف فعلها شرع الله تبارك وتعالى .

(١) سورة النحل، الآية [١١٦].
(٢) أضواء البيان ٤/ ٨٤ - ٨٥ .

المبحث الرابع

ما يضادّ إخلاص العبادة

بعد أن ذكرت - فيما مرّ- أنواع العبادة كما وضحها الشيخ الأمين رحمه الله، وبيّنها في كتبه، أشرع ها هنا بذكر ما يضادّ تلك الأنواع، وينافي إخلاص العبادة ؛ من الشرك الأكبر، والأصغر وكبائر الذنوب، بحسب ما تطرق إليه الشيخ رحمه الله، ووفق منهجه رحمه الله.

قال تعالى ممتنّا على المؤمنين بأنه قد بغض إلى قلوبهم ما يضادّ إخلاص العبادة ؛ من كفر، أو فسوق، أو عصيان بفضله عليهم، ونعمته، ورأفته بهم جلّ وعلا : ﴿ولكنّ الله حبّب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾[1].

ولبيان هذه الأنواع التي تضادّ إخلاص العبادة قسّمت هذا المبحث إلى مطالب :

(١) سورة الحجرات، الآية [٧].

المطلب الأول

الشرك بالله تعالى

كما أنّ أعظم طاعة وعبادة عُبد الله تعالى بها، وتُقرب بها إليه هي التوحيد، كذلك فإنّ أعظم ذنب عصي الله تعالى به على الإطلاق هو الشرك، لذلك فإنّ من مات عليه لا يغفر له الله أبداً، ويدخله النار خالداً مخلداً فيها أبدا، ويحبط جميع عمله كبيره وصغيره؛ لأنه صرف أعظم حقّ من حقوق الله تعالى لغير الله تعالى فأحبط الله جميع عمله بسبب التفاته إلى غير خالقه جلّ وعلا.

وقد اهتمّ الشيخ الأمين رحمه الله بهذا الجانب، وذكر أن كلّ مسلم يجب عليه أن يعرف ما هي العبادة، وما الذي يحبطها ويفسد العمل؛ فقال رحمه الله: «اعلم أنه يجب على كل مسلم أن يتأمل في معنى العبادة؛ وهي تشمل جميع ما أمر الله أن يتقرب إليه به من جميع القربات، فيخلص تقربه بذلك إلى الله، ولا يصرف شيئاً منه لغير الله كائنا ما كان»[1].

وقبول العبادة مبني على أمرين:

الأول: الإخلاص: وهو تجريد العبادة لله سبحانه وتعالى. وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

الثاني: العمل الصالح: وهو تجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو معنى شهادة أنّ محمداً رسول الله.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً

(١) أضواء البيان ٧/ ٦٢٦.

ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾[1]

وهذا الموضوع ؛ أعني الإشراك بالله تعالى - عياذا بالله من ذلك - من الموضوعات الخطيرة، لذلك اهتم الشيخ الأمين رحمه الله ببيانه، وأطال النفس فيه جداً ؛ فقد بين رحمه الله أن المشرك لا يقبل منه عمل، ولا يرجى له خلاص ؛ لأنه أتى بظلم عظيم، فمن مات وهو يشرك بالله شيئاً فهو في نار جهنم خالداً فيها ؛ لأنه صرف العبادة إلى غير الخالق الرازق المعبود وحده سبحانه وتعالى فقال رحمه الله : «إن من أشرك بالله غيره. . . . ومات ولم يتب من ذلك فقد وقع في هلاك لا خلاص منه بوجه، ولا نجاة معه بحال»[2].

لذلك أهاب الشيخ رحمه الله بكل مسلم أن يفرق بين حقوق الله الخاصة به سبحانه، وبين حقوق خلقه، وأن يعطي كل ذي حق حقه، حتى لا يقع في هذا الأمر العظيم.

وأوضح رحمه الله أن أعظم الحقوق الخاصة بالله تعالى : إخلاص العبادة له وحده جلّ وعلا، وأخلص ما يكون وأصدقه حين تحيط الشدائد والكرب بالإنسان. فمن أخلص لله فقد عرف حقه، واقتدى بنبيه صلى الله عليه وسلم.

يقول رحمه الله : «اعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته، والتي لا يجوز صرفها لغيره، وبين حقوق خلقه ؛ كحق النبي صلى الله عليه وسلم ليضع كل شيء في موضعه على ضوء ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا القرآن العظيم، والسنة الصحيحة . وإذا عرفت ذلك فاعلم أن من الحقوق الخاصة بالله التي هي من خصائص ربوبيته : التجاء عبده إليه إذا دهمته الكروب ودهمته

(١) سورة الكهف ، الآية [١١٠].

(٢) أضواء البيان ٥/ ٦٩٠ - ٦٩١ . وانظر المصدر نفسه ١/ ٣٩٣ .

الدواهي، لا يجوز إلا لله وحده ؛ لأنه من خصائص الربوبية، فصرف ذلك الحق لله، وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومرضاته، وهو عين التوقير والتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن أعظم أنواع توقيره وتعظيمه هو اتباعه والاقتداء به في إخلاص التوحيد والعبادة لله وحده جلّ وعلا»[1].

ثم بين رحمه الله الأدلة من القرآن الكريم على أن الإخلاص حق لله ؛ لأنه هو الخالق الرازق القادر على كشف الدواهي والشدائد وحده ؛ فقال رحمه الله: «بين جل وعلا في آيات كثيرة من كتابه أنّ التجاء المضطر من عباده إليه وحده في أوقات الشدة والكرب من خصائص ربوبيته تعالى. ومن أصرح ذلك الآيات التي في سورة النمل ؛ أعني قوله تعالى: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ إلى قوله: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[2]. . . . »[3].

ثم بيّن رحمه الله محل الشاهد في هذه الآيات أنه قوله تعالى: ﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾[4] فقال رحمه الله: «فهذه المذكورات التي هي إجابة المضطر إذا دعاه، وكشف السوء، وجعل الناس خلفاء في الأرض من خصائص ربوبيته جلّ وعلا، ولذا قال بعدها: ﴿أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾. فتأمل قوله تعالى: ﴿أإله مع الله﴾، مع قوله: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ تعلم أنّ إجابة المضطرين إذا التجؤوا ودعوا وكشف السوء عن المكروبين، لا فرق في كونه من خصائص الربوبية

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٦١٨.

(٢) سورة النمل، الآية [٥٩ - ٦٤].

(٣) أضواء البيان ٧/ ٦١٨.

(٤) سورة النمل، الآية [٦٢].

بينه وبين خلق السموات والأرض، وإنزال الماء، وإنبات النبات، ونصب الجبال، وإجراء الأنهار ؛ لأنه جلّ وعلا ذكر الجميع بنسق واحد في سياق واحد ، واتبع جميعه بقوله : ﴿أإله مع الله﴾ . فمن صرف شيئاً من ذلك لغير الله توجه إليه الإنكار السماوي الذي هو في ضمن قوله : ﴿أإله مع الله﴾ ، فلا فرق البتة بين تلك المذكورات في كونها كلها من خصائص الربوبية»[1] .

ويوضح الشيخ الأمين رحمه الله في موضع آخر أن كل ما لا يقدر عليه إلا الله فهو حق لله سبحانه وتعالى، لا يطلب إلا منه، وإذا طلب من غيره كان صرفا لخصائص الله لغيره ؛ لأن الله هو المعبود والمدعو في طلب كل خير، ودفع كل شر في الرخاء والشدة، فقال رحمه الله : «واعلم أيضاً رحمك الله أنه لا فرق بين ما ذكرنا من إجابة المضطر، وكشف السوء عن المكروب، وبين تحصيل المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله كالحصول على الأولاد والأموال، وسائر أنواع الخير ، فإن التجاء العبد إلى ربه في ذلك أيضاً من خصائص ربوبيته جل وعلا ؛ كما قال تعالى : ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾[2]، وقال تعالى : ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ﴾[3]، وقال تعالى : ﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور﴾ الآية[4] ، وقال تعالى : ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿واسألوا الله من فضله﴾[6] ، إلى غير ذلك من الآيات . وفى الحديث : «إذا سألت فاسأل الله»[7] . وقد

(١) أضواء البيان ٧/ ٦١٩ - ٦٢٠ .
(٢) سورة يونس، الآية [٣١].
(٣) سورة العنكبوت، الآية [١٧].
(٤) سورة الشورى، الآية [٤٩].
(٥) سورة النحل، الآية [٧٢].
(٦) سورة النساء، الآية [٣٢].
(٧) جزء من حديث ابن عباس . أخرجه الترمذي في سننه ٤/ ٦٦٧، وقال : «حديث حسن صحيح» .

أثنى الله جلّ وعلا على نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالتجائهم إليه وقت الكرب يوم بدر في يقوله : ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ الآية[1] . فنبينا صلى الله عليه وسلم كان هو وأصحابه إذا أصابهم أمر أو كرب التجأوا إلى الله وأخلصوا له الدعاء، فعلينا أن نتبع ولا نبتدع»[2] .

فالشيخ رحمه الله بيّن أن الإخلاص لله لابد أن يكون في جميع أنواع العبادة، لا يشرك مع الله أحداً من خلقه، ولو كان ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلاً ؛ لأنه حق الله الذي افترضه على عباده، والعلامة الفارقة بين الإيمان والكفر .

ولكن هذا الحق صرف عند بعض الناس - ممن يدعون الإسلام وزين لهم الشيطان سوء عملهم - إلى غير الله ، فالتجأوا إلى ذلك الغير بأنواع العبادات من رغبة ورهبة عند نزول الملمات والكروب فصارت حالهم أعظم من حال المشركين الأوائل الذين كانوا يخلصون في الشدائد، ويشركون في الرخاء .

وقد وضح الشيخ الأمين حال هؤلاء فقال : «إن الله ذم الكفار وعاتبهم بأنهم في وقت الشدائد والأهوال خاصة يخلصون العبادة له وحده، ولا يصرفون شيئاً من حقه لمخلوق، وفي وقت الأمن والعافية يشركون به غيره في حقوقه الواجبة له وحده، التي هي عبادته وحده في جميع أنواع العبادة . ويعلم من ذلك أن بعض الجهلة المتسمين باسم الإسلام أسوأ حالاً من عبدة الأوثان ؛ فإنهم إذا دهمتهم الشدائد، وغشيتهم الأهوال والكروب التجأوا إلى غير الله ممن يعتقدون فيه الصلاح في الوقت الذي يخلص فيه الكفار العبادة لله، مع أن الله جل وعلا أوضح في غير موضع " أن إجابة المضطر وإنجاءه من الكروب من حقوقه التي لا يشاركه فيها غيره»[3] .

(١) سورة الأنفال، الآية [٩] .

(٢) أضواء البيان ٧/ ٦٢٥ - ٦٢٦ . وانظر المصدر نفسه ٤/ ٥٦١ .

(١) أضواء البيان ٣/ ٦١٤ .

فالشيخ الأمين رحمه الله يميط اللثام عن هؤلاء الذين يفرطون في حقوق الله وخصائصه، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ؛ ففاقوا المشركين في شركهم ؛ إذ دعوا أوثانهم وتوجهوا إليها في الشدة والرخاء، والسعة والضيق ؛ فهم أشد شركا من الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأسوأ حالاً منهم ؛ لأن أولئك كانوا يعلمون أن من يجيب الدعاد هو الله، فكانوا يلجؤون إليه وقت الشدائد والكرب، ويتركون أوثانهم.

وقد أشار إلى مشركي زماننا، وشدة تألههم لأوثانهم في الرغبة والرهبة الشيخ سليمان بن عبد الله[1] رحمه الله فقال : «وأما عباد القبور اليوم فلا إله إلا الله كم ذا بينهم وبين المشركين الأولين من التفاوت العظيم في الشرك ؛ فإنهم إذا أصابتهم الشدائد براً وبحراً أخلصوا لآلهتهم وأوثانهم التي يدعونها من دون الله، وأكثرهم قد اتخذ ذكر إلهه وشيخه ديدنه وهجيراه إن قام، وإن قعد، وإن عثر»[2].

وقد أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى نماذج من شرك هؤلاء الذين يدعون أنهم من أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيغالون فيه، وفي بعض الصالحين زاعمين أنهم يحبونهم ويعظمونهم، وفعلهم في الحقيقة من الأمور التي توجب سخط الله وسخط رسوله صلى الله عليه وسلم، فيقول رحمه الله : «إن ما انتشر في أقطار الدنيا من الالتجاء فى أوقات الكروب والشدائد إلى غير الله جل وعلا كما يفعلون ذلك قرب قبر النبي صلى الله عليه وسلم وعند قبور من يعتقدون فيهم الصلاح زاعمين أن ذلك من دين الله ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ومحبة الصالحين. وكله من أعظم الباطل، وهو انتهاك لحرمات الله وحرمات رسوله : لأن صرف

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٣١.
(٢) تيسير العزيز الحميد، ص٢٢٠.

الحقوق الخاصة بالخالق التي هي من خصائص ربوبيته إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره ممن يعتقد فيهم الصلاح مستوجب سخط الله، وسخط النبي صلى الله عليه وسلم وسخط كل متبع له بالحق»[1].

فالشيخ الأمين رحمه الله يؤكد أن من توجه بشيء من حقوق الله إلى غيره فقد أغضب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وخالف طريقته، وترك الاقتداء به، فهو صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر أمته بأن يجعلوه لله ندا، بل كان يأمر بالإخلاص لله وإفراده بالعبادة وحده سبحانه وتعالى. وكذا الأنبياء قبله، وأصحابه رضوان الله عليهم.

يقول رحمه الله مبيناً هذا المعنى: «ومعلوم أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر بذلك هو ولا أحد من أصحابه، وهو ممنوع في شريعة كل نبي من الأنبياء. والله جل وعلا يقول: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون* ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾[2]، بل الذي كان يأمر به صلى الله عليه وسلم هو ما يأمره الله بالأمر به في قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[3]..[4].

(١) أضواء البيان ٧/ ٦٢٣ - ٦٢٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان [٧٩ - ٨٠].

(٣) سورة آل عمران، الآية [٦٤].

(٤) أضواء البيان ٧/ ٦٢٤.

المطلب الثاني

الذبـح لغيـر اللـه

الذبح عبادة يتقرب بها إلى الله جلّ وعلا، ولا يجوز أن يتقرب بها لغيره؛ قال تعالى : ﴿فصلّ لربك وانحر﴾[1]

وقد بين الشيخ الأمين رحمه الله أن من ذبح لغير الله كائنا من كان فإنه جعله معبوداً له من دون الله، فقال رحمه الله : «. . . فمن صرف شيئاً من ذلك لغير الله فقد جعله شريكاً مع الله في هذه العبادة التي هي الذبح، سواء كان نبياً أو ملكاً، أو بناء أو شجراً أو حجراً، أو غير ذلك، لا فرق في ذلك بين صالح وطالح، كما نصّ عليه تعالى بقوله : ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا﴾[2] ، ثم بين أن فاعل ذلك كافر، بقوله تعالى : ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾[3] . . . »[4].

وكذا نرى الشيخ الأمين رحمه الله لا يرتضي قول من فرق بين ما ذبحه أهل الكتاب لصنم، وبين ما ذبحوه لعيسى ، أو واحد من الملائكة ؛ حيث جعلوا الأول محرماً ، والآخر مكروها، فيرد على هذا التفريق بأن الجميع مما ذبح لغير الله، فيقول رحمه الله : «إن هذا الفرق باطل بشهادة القرآن ؛ لأن الذبح على وجه القربة عبادة بالإجماع، وقد قال تعالى : ﴿فصل لربك وانحر﴾[5] . وقال تعالى : ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله﴾ الآية[6] . . . »[7].

(١) سورة الكوثر، الآية[٢].

(٢) سورة آل عمران، الآية [٨٠].

(٣) سورة آل عمران، الآية [٨٠].

(٤) دفع إيهام الاضطرب - الملحق بأضواء البيان ١٠/ ١٠٤ .

(٥) سورة الكوثر ، الآية [٢].

(٦) سورة الأنعام، الآية [١٦٢].

(٧) دفع إيهام الاضطراب - الملحق بأضواء البيان ١٠/ ١٠٣ .

ويستشهد رحمه الله بقوله تعالى : ﴿وما أهل لغير الله به﴾[1]، فيقول: «وقوله : «لغير الله» يدخل فيه الملك والنبي كما يدخل فيه الصنم والنصب والشيطان، وقد وافقونا في منع ما ذبحوه باسم الصنم، وقد دل الدليل على أنه لافرق في ذلك بين النبي والملك، وبين الصنم والنصب، فلزمهم القول بالمنع. وأما استدلالهم بقوله : ﴿وما ذبح على النصب﴾[2] : فلا دليل فيه ؛ لأن قوله تعالى : ﴿وما ذبح على النصب﴾ ليس بمخصص لقوله : ﴿وما أهل لغير الله به﴾ ؛ لأنه ذكر فيه بعض ما دل عليه عموم ﴿وما أهل لغير الله به﴾[3].

وما ذهب إليه الشيخ رحمه الله من أنه لا فرق في حكم الحرمة بين ما ذبح لعيسى أو للصنم ؛ إذ أن كليهما مما قصد به غير الله سبحانه وتعالى، هو ما وضحه الإمام النووي[4] رحمه الله، وبين أن من ذبح للأنبياء، أو للأصنام فهو ممن ذبح لغير الله، فقال «وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى ؛ كمن ذبح للصنم، أو الصليب ، أو لموسى، أو لعيسى صلى الله عليهما، أو للكعبة، ونحو ذلك. فكل هذا حرام، ولا تحلّ هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً، أو نصرانياً، أو يهودياً نص عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا . فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً»[5].

---

(١) سورة المائدة، الآية [٣].

(٢) سورة المائدة، الآية [٣].

(٣) دفع إيهام الاضطراب ١٠/ ١٠٤ - ١٠٥ الملحق بأضواء البيان.

(٤) هو الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حزام النووي الدمشقي، ولد في «نوا» سنة (٦٣١هـ) وتوفي فيها سنة (٦٧٦هـ). انظر طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ١٦٥، والأعلام ٨/ ١٥٠.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ١٤١ .

فلا حجة لمن فرق بين ما ذبح للصنم، أو ذبح لعيسى عليه السلام فالكل داخل تحت قوله تعالى : ﴿وما أهل لغير الله به﴾[1] عندما ذكر ما حرمه علينا جلّ وعلا .

ومن المسائل التي وضحها الشيخ الأمين رحمه الله في هذا الباب عدم جواز الذبح في مكان كان يعبد فيه غير الله، أو كان موضعاً لعيد من أعياد الجاهلية، وقد بين أثابه الله أن هذا الذبح معصية لله تعالى لا يتقرب به إلى الله، وقد استشهد بحديث ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا ببوانه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد» ؟ قالوا : لا . قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم» ؟ قالوا : لا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»[2] .

وقد عقب رحمه الله على هذا الحديث بقوله : «وفيه الدلالة الظاهرة على أن النحر بموضع كان فيه وثن يعبد، أو عيد من أعياد الجاهلية من معصية الله، وأنه لا يجوز بحال . والعلم عند الله تعالى»[3] .

وقد سبقه إلى نحو هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ إذ عقب على هذا الحديث بقوله : «وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم، ومحل أوثانهم معصية لله»[4] . ثم بين كون ذلك معصية لله من وجوه عديدة، وقد أطال في الكلام على ذلك رحمه الله .

---

(١) سورة المائدة ، الآية [٣] .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٣/ ٦٠٧، وقال عنه الألباني : إسناده صحيح . (انظر : مشكاة المصابيح ٢/ ١٠٢٤، رقم ٣٤٣٧) .

(٣) أضواء البيان ٥/ ٦٨١ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٤٠ . وانظر : تيسير العزيز الحميد ص ٢٠١ .

المطلب الثالث

ادعاء علم الغيب

علم الغيب من خصائص الله سبحانه وتعالى، فلا يعلم الغيب إلا هو ؛ قال تعالى : ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾[1] وقال تعالى : ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾[2].

والغيب كما ذكر الشيخ الأمين رحمه الله : «يطلق على كل ما غاب من المعلومات»[3].

وهو يؤكد رحمه الله أن الغيب لا يعلمه إلا الله، وقد يطلع من شاء من رسله على شيء من المغيبات. يقول رحمه الله : «أعلم المخلوقات، وهم الرسل، والملائكة لا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله تعالى. وهو تعالى يعلم رسله من غيبه ما يشاء ؛ كما أشار له بقوله : ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾[4] وقوله : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول﴾ الآية [5] . . . »[6].

لذلك فقد بين رحمه الله أن جميع وسائل ادعاء الاطلاع على الغيب هي من الضلال الذى نهى الله عنه، وليس لنا إلا ما أطلع الله عليه رسوله،

---

(١) سورة النمل، الآية [٦٥].
(٢) سورة الأنعام، الآية[٥٩].
(٣) معارج الصعود صـ ١٠٠ .
وقد عرفه صاحب الصحاح (١/ ١٩٦) : بأنه كل من غاب عنك.
وانظر : تهذيب اللغة ٨/ ٢١٤ .
(٤) سورة آل عمران، الآية [١٧٩].
(٥) سورة الجنّ، الآيتان [٢٦ - ٢٧].
(٦) أضواء البيان ٢/ ١٩٦ - ١٩٧ .

وأخبرنا به صلى الله عليه وسلم ، فيقول رحمه الله موضحاً هذا المعنى : «لما جاء القرآن العظيم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله كان جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي من الضلال المبين . وبعض منها ما يكون كفراً ولذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»[1] . ولا خلاف بين العلماء في منع العيافة[2] . والكهانة[3]، والعرافة[4]، والطرق[5]، والزجر[6]، والنجوم . وكل ذلك يدخل في الكهانة، لأنها تشمل جميع أنواع ادعاء الاطلاع على علم الغيب، وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان ؟ فقال : «ليسوا بشيء[7]»[8]

ويؤكد الشيخ الأمين رحمه الله أن ليس للعباد تسلط إلى معرفة الغيب، وأن جميع الطرق التي يدعي أصحابها أنها تنبىء عن الغائب كلها من البهتان . وهذا ما أوضحه الإمام القرطبي[9] رحمه الله بقوله : « قال العلماء رحمة الله عليهم : لما تمدح سبحانه بعلم الغيب، واستأثر به دون

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٧٥١ ، إلا أنه قال : «ليلة» بدل «يوما» .
(٢) هى زجر الطير للتفاؤل، والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرها .
(انظر : اللسان ١١/ ١٦٧ . وتهذيب اللغة٣/ ٢٣١) .
(٣) الكهانة مثل العرافة - كما سيأتي - .
(انظر : الصحاح ٦/ ٢١٩١ . وتهذيب اللغة ٦/ ٢٤ . واللسان ١٧/ ٢٤٤/ -٢٤٥) .
(٤) العراف : هو الحازي أو المنجم الذى يدعي علم الغيب الذى استأثر الله بعلمه .
(انظر : الصحاح ٤/ ١٤٠٢ . وتهذيب اللغة ٢/ ٣٤٧ واللسان ١١/ ١٤٢ .
(٥) هو الضرب بالحصى، والخط في التراب، وهو ضرب من التكهن .
(انظر : الصحاح ٤/ ١٥١٥ . وتهذيب اللغة ١٦/ ٢٢٤، واللسان ١٢/ ٨٥) .
(٦) ويكون للطير، وغيرها للتيمن بسنوحها، أو التشاؤم ببروحها، وهو ضرب من التكهن .
(انظر : الصحاح ٢/ ٦٦٨ . وتهذيب اللغة ١٠/ ٦٠٢) .
(٧) أخرجه البخاري ٧/ ٨٢ . ومسلم ٤/ ١٧٥٠ .
(٨) أضواء البيان ٢/ ١٩٧ .
(٩) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي من كبار المفسرين . رحل إلى المشرق واستقر بمنية ابن خصيب في صعيد مصر . وتوفي ودفن بها سنة (٦٧١هـ) .
وانظر : شذرات الذهب ٥/ ٣٣٥ .

خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى، وينظر في الكتب، ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه»[1].

إذاً: فادعاء معرفة الأمور الغائبة ليس بالأمر الهيّن، بل هو زعم بمشاركة الله تعالى الذى لا يعلم الغيب أحد سواه في علمه، ولذلك يبين الشيخ الأمين رحمه الله أن بعض أهل العلم قد كفر من يدعي معرفة الغيب، ويسوق الأدلة التي استدلوا بها فيقول: «ووجه تكفير بعض أهل العلم لمن يدعي الاطلاع على الغيب أنه ادعى لنفسه ما استأثر الله تعالى به دون خلقه، وكذب القرآن الوارد بذلك؛ كقوله: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[2]. وقوله هنا: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾[3] ونحو ذلك[4]».

وما ذكره الشيخ رحمه الله من أن مدعي الغيب كافر هو القول الحق الذى تنصره الأدلة الصريحة الدالة على أن الغيب لله وحده، وأنه من خصائص ألوهيته وربوبيته جل وعلا. والمتطاول إلى معرفة الغيب هو في الحقيقة مدع لمشاركة الله تعالى في صفة من صفاته الخاصة به. ولا شك في كفر من ادعى هذه المنزلة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ١٩.

(٢) سورة النمل، الآية [٦٥].

(٣) سورة الأنعام، الآية [٥٩].

(٤) أضواء البيان ٢/ ١٩٩.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي[1] رحمه الله موضحاً هذا الأمر : «إن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك؛ بكهانة أو عرافة أو غيرها، أو صدق من ادعى ذلك فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه، وقد كذب الله ورسوله. وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذى اختص به، ومن جهة التقرب إلى غير الله»[2].

وبذلك يتبين كفر من ادعى علم الغيب بأي طريقة من الطرق الشيطانية ؛ إذ إنه زعم لنفسه ما اختص الله به دون خلقه، وكذب بالقرآن العظيم، وبآياته الكريمة التي ذكر الله جل وعلا فيها أنه لا يعلم الغيب أحد سواه جل وعلا.

(١) هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن محمد آل سعدي. ينتهي نسبه إلى بني عمرو من قبيلة تميم. ولد في عنيزة سنة (١٣٠٧هـ)، وتوفي بها سنة (١٣٧٦هـ).
(انظر : علماء نجد ٢/ ٤٢٢. والأعلام ٣/ ٣٤٠).

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد صـ٨٤ - ٨٥.

المطلب الرابع

الحلف بغير الله

حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الحلف بغير الله، وذلك لسد الطرق الموصلة للشرك، وحماية لجناب التوحيد، وحتى يكون الدين كله لله.

قال عليه الصلاة والسلام: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[1].

وهذا الشرك الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «أشرك» هو الشرك الأصغر، الذى لا يخلد صاحبه في النار، ولكنه على خطر عظيم إن لم يتب منه.

وقد أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى أنه لا يجوز الحلف بغير الله، ومن حلف فإن يمينه باطلة، وإنما يكون الحلف صحيحاً إذا كان بالله، أو بأسمائه، أو صفاته.

قال رحمه الله: «اعلم أن اليمين لا تنعقد إلا بأسماءالله وصفاته، فلا يجوز القسم بمخلوق؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان حالفاً فليحلف بالله، أو ليصمت»[2]»[3].

ثم يرد رحمه الله على من جوز الحلف برسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً أن ذلك مصادمة للأمر النبوي الكريم المانع من الحلف بغير الله، فيقول: «ولا تنعقد يمين بمخلوق كائنا ما كان، كما أنه لا تجوز بإجماع من

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/ ١١٠، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري ٧/ ٢٢١.

(٣) أضواء البيان ٢/ ١٢٣. وانظر المصدر نفسه ٣/ ٣٤.

يعتدّ به من أهل العلم، وبالنص الصحيح الصريح في منع الحلف بغير الله. فقول بعض أهل العلم[1] بانعقاد اليمين به صلى الله عليه وسلم لتوقف إسلام المرء على الإيمان به ظاهر البطلان، والله تعالى أعلم»[2].

وهذا الذى قرره الشيخ الأمين رحمه الله هو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين ذكر تنازع الناس في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال بعد ذلك: «إن الصواب الذى عليه عامة علماء المسلمين سلفهم وخلفهم أنه لا يحلف بمخلوق؛ لا نبي ولا غير نبي، ولا ملك من الملائكة، ولا ملك من الملوك، ولا شيخ من الشيوخ، والنهي عن ذلك نهي تحريم عند أكثرهم كمذهب أبي حنيفة وغيره، وهو أحد القولين في مذهب أحمد»[3].

وإذا كان الشيخ الأمين رحمه الله يبيّن أن ليس للمخلوق أن يحلف بغير الله، فإنه يؤكد في موضع آخر أن للخالق أن يقسم بما شاء من خلقه، فيقول رحمه الله: «والله جلّ وعلا له أن يقسم بما شاء من خلقه، ولم يقسم في القرآن بحياة أحد إلا نبينا صلى الله عليه وسلم. وفي ذلك من التشريف له صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى»[4].

وما بينه الشيخ رحمه الله من أن للخالق أن يقسم بما شاء من خلقه أشار إليه الشيخ سليمان بن عبد الله[5] رحمه الله بقوله: «فإن قيل إن الله أقسم بالمخلوقات في القرآن. قيل: ذلك يختص بالله تبارك وتعالى؛ فهو يقسم بما شاء من خلقه لما في ذلك من الدلالة على قدرة الرب ووحدانيته،

(١) منهم الإمام أحمد - رحمه الله - في الرواية الأخرى، انظر مجموع الفتاوى ١/ ٣٣٥.

(٢) أضواء البيان ٢/ ١٢٣.

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧/ ٣٤٩. وانظر: تيسير العزيز الحميد صـ٥٩٠.

(٤) أضواء البيان ٣/ ٣٤.

(٥) تقدمت ترجمته.

وإلهيته، وعلمه، وحكمته، وغير ذلك من صفات كماله. وأما المخلوق فلا يقسم إلا بالخالق تعالى. فالله تعالى يقسم بما شاء من خلقه، وقد نهانا عن الحلف بغيره، فيجب على العبد التسليم والإذعان لما جاء من عند الله»[1].

وهكذا نرى الشيخ الأمين رحمه الله يؤكد أن للخالق جل وعلا أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس للمخلوق أن يقسم بأحد سوى خالقه جلّ وعلا؛ لدلالة الأدلة الشرعية على ذلك، ولأن حلف المخلوق بغير خالقه قد يجره إلى أمر جد خطير، فقد يخرجه من الملة - عياذا بالله -؛ لأن الحلف بغير الله ذريعة من أقوى الذرائع الموصلة إلى الشرك الأكبر؛ إذ إن الحالف قد يتدرج في تعظيم المحلوف به، حتى يصل به إلى درجة المساواة مع الخالق جلّ وعلا، ولا يختلف اثنان أنّ هذا شرك أكبر.

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٩٠.

المطلب الخامس

السحـــر

السحر من الأعمال المحرمة التي تضادّ التوحيد، وهو محادة لله ورسوله.

أنواعه كثيرة، ومن أعظمها السحر الذى لا يتم إلا بالإشراك بالله، والتقرب إلى الشياطين حتى يحققوا للساحر مراده من حصول بعض التأثيرات القبيحة فيمن يريد أن يسحره.

ومنه ما تحصل بسببه بعض التأثيرات القبيحة : كالتلبيس على العقول، أو القتل، أو التفريق بين المتحابين، أو أعمال أخرى كثيرة ومؤذية.

والسحر لا يؤثر إلا بإذن الله وإرادته الكونية ؛ قال تعالى : ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾[1].

لذلك حارب الإسلام السحر ، وحرمه على المسلمين لما فيه من ادعاء الاطلاع على المجهول، وذلك مشاركة لله في علمه، وكذلك لما فيه من التوسل إلى الشياطين والتقرب إليهم ليساعدوه في تحقيق مأربه.

وقليل السحر وكثيره لا يتم إلا بالتعرض لغضب الله وسخطه، وهو من

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٠٢].

السبع الموبقات.

وقد بسط الشيخ الأمين رحمه الله الكلام عن السحر، وطرقه من جميع جوانبه. وقد أطال النفس فيه جداً؛ فتكلم عن تعريفه، وهل هو حقيقة أو خيال؟ وحكم متعاطيه، وغير ذلك من المباحث.

تعريف السحر:

عرفه رحمه الله لغة بقوله: «يطلق في اللغة على كل شيء خفي سببه، ولطف، ودق، ولذلك تقول العرب في الشيء الشديد الخفاء: أخفى من السحر»[1]

أما التعريف الاصطلاحي، فقال فيه: «لا يمكن حده بحدّ جامع مانع؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك يكون جامعاً لها، مانعاً لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافاً متباينا»[2].

ولهذا السبب لم يعرف الشيخ الأمين رحمه الله السحر تعريفاً اصطلاحيا؛ لأنه يرى أنه يصعب أن يحد بتعريف يكون شاملاً لجميع أنواعه وطرقه.

حقيقة السحر:

اختلف الناس في السحر: هل هو حقيقة، أم خيال فذكر الشيخ[3]

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٤٤٤. وانظر أيضاً: المصدر نفسه ٤/ ٤٤٥. ومعارج الصعود صـ٥١.
وهو قول ابن منظور في لسان العرب ٤/ ٣٤٨.
(٢) أضواء البيان ٤/ ٤٤٤.
(٣) ذكر ذلك في أضواء البيان ٤/ ٤٤٤.

رحمه الله أنّ المعتزلة[1] وغيرهم[2] ذهبوا إلى أنه لا حقيقة للسحر[3]، وأنهم احتجوا بقوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾[4]، وبقوله تعالى: ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس﴾ الآية[5].

وذهب الجمهور إلى أن منه ما له حقيقة، وليس خيالاً فقط كما توهم البعض.

ورجح الشيخ الأمين رحمه الله ما ذهب إليه الجمهور، وذكر شيئاً من أدلتهم، فقال رحمه الله: «والتحقيق الذي عليه جماهير العلماء من المسلمين أن السحر منه ما هو أمر له حقيقة، لا مطلق تخييل لا حقيقة له. ومما يدلّ على أن منه ما له حقيقة قوله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾[6]؛ فهذه الآية تدل على أنه شيء موجود له حقيقة تكون سبباً للتفريق بين الرجل وامرأته. وقد عبر الله عنه بـ«ما» الموصولة وهي تدل على أنه شيء له وجود حقيقي. ومما يدل على ذلك أيضاً قوله

---

(١) المعتزلة سموا بذلك لاعتزال رئيسهم واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري. وقيل لاعتزالهم قول الأمة في دعواهم أن الفاسق من أمة الإسلام لامؤمن ولا كافر. ولهم أصول خمسة اشتهروا بها: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
(انظر: الفرق بين الفرق صـ ٢٠، ١١٤. والملل والنحل ١/ ٤٣. وخطط المقريزي ٢/ ٣٤٥. والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان صـ ٤٩).

(٢) وممّن قال بهذا القول - كما ذكر الحافظ ابن حجر - أبو جعفر الاستراباذي - من الشافعية -، وأبو بكر الرازي - من الحنفية -، وابن حزم الظاهري، (فتح الباري ١٠/ ٢٣٣).

(٣) قال ذلك الزمخشري المعتزلي في الكشاف ٢/ ١٠٣.
وقد رد عليه ابن المنير في حاشية الكتاب المذكور، وبين خطأ هذا القول، وأوضح معتقد أهل السنة والجماعة، (وانظر: بدائع الفوائد ٢/ ٢٢٧)، ومن المعاصرين أيضاً من ينكر حقيقة السحر.

(٤) سورة طه، الآية [٦٦].

(٥) سورة الأعراف، الآية [١١٦].

(٦) سورة البقرة، الآية [١٠٢].

تعالى : ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾[1] ؛ يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن، وينفثن في عقدهن. فلولا أن السحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه»[2].

وهذه الأدلة التي استدل بها الشيخ الأمين رحمه الله على حقيقة السحر أدلة صريحة على أنّ للسحر أثرا، ومنه ما هو حقيقة ومحسوس، وليس كله خيالاً.

وأما جانب الخيال في السحر : فيجعل الشيخ رحمه الله من قصة سحرة فرعون مثالاً على الخيال في السحر، ولا يرضى قول من قال: إنّ سحرهم حقيقة لا خيال، فيقول رحمه الله : «فإن قيل : قوله في «طه» : ﴿يخيل إليه من سحرهم﴾ الآية[3] ، وقوله في «الأعراف» ﴿سحروا أعين الناس﴾[4] الدالان على أن سحر سحرة فرعون خيال لا حقيقة له، يعارضهما قوله في «الأعراف» : ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾[5] ؛ لأن وصف سحرهم بالعظيم يدل على أنه غير خيال. فالذي يظهر في الجواب - والله أعلم - أنهم أخذوا كثيراً من الحبال والعصي، وخيلوا بسحرهم لأعين الناس أن الحبال والعصي تسعى، وهي كثيرة. فظنّ الناظرون أنّ الأرض ملئت حيات تسعى لكثرة ما ألقوا من الحبال والعصي، فخافوا من كثرتها، وبتخييل سعي ذلك العدد الكثير وصف سحرهم بالعظم. وهذا ظاهر لا إشكال فيه»[6].

فالشيخ رحمه الله يوضح أن السحر وصف بالعظم ؛ لكثرة ما ألقى

(١) سورة الفلق، الآية [٤].

(٢) أضواء البيان ٤/ ٤٣٧ - ٤٣٨ . وانظر : معارج الصعود صـ ٥١ - ٥٢ .

(٣) سورة طه، الآية [٦٦].

(٤) سورة الأعراف. الآية [١١٦].

(٥) سورة الأعراف، الآية [١١٦].

(٦) أضواء البيان ٤/ ٤٣٨ .

السحرة من الحبال والعصي، ولتخييلهم للناس أنها تسعى. فهذا النوع ليس السحر فيه حقيقة، بل هو تخييل.

وقد وافق الشيخُ رحمه الله في فهم هذه الآية الحافظ ابن حجر حيث إنه جعل سحر سحرة فرعون من الخيال، لا من الحقيقة، فقال عند قوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾[1]: «هذه الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخييل. ولاحجة له بها؛ لأن هذه وردت في قصة سحرة فرعون، وكان سحرهم كذلك، ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل»[2].

فما قاله الشيخ الأمين رحمه الله من أن السحر الذي جاء به سحرة فرعون إنما هو تخييل، هو الصواب؛ فلا شك أنه من التخييل الناتج من تأثير السحر على أبصارهم حتى رأت غير الحقيقة؛ كما قال تعالى: ﴿سحروا أعين الناس﴾[3].

وحاصل الكلام أن السحر قسمان - كما ذكر ذلك الشيخ الأمين- : حقيقي، وخيالي، وهذا التقسيم تعضده الأدلة النقلية وهو مذهب جمهور المسلمين.

قال الإمام القرطبي رحمه الله بعد ما ساق أدلة المعتزلة التي استدلوا بها على أن السحر خيال لا حقيقة؛ مثل قوله تعالى: ﴿سحروا أعين الناس﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾[5]،

---

(١) سورة طه، الآية[٦٦].

(٢)فتح الباري ١٠/ ٢٣٥ - ٢٣٦.

وقد ذكر نحو هذا الكلام الإمام ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث صـ١٢٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية [١١٦].

(٤) سورة الأعراف، الآية [١١٦].

(٥) سورة طه، الآية [٦٦].

فقال: «وهذا لا حجة فيه؛ لأننا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل، وورد بها السمع؛ فمن ذلك ما جاء في هذه الآية[1] من ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يكن تعليمه، ولا أخبر تعالى أنهم يعلمونه الناس، فدلّ على أنّ له حقيقة»[2].

وأخيراً أختم كلام العلماء في هذا الجانب بقول أحد أئمة الدعوة البارزين؛ وهو الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله الذي قال: «وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر تخييل لا حقيقة له، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه، بل منه ما هو تخييل، ومنه ما له حقيقة»[3].

حكم استعمال السحر، وتعلمه:

أوضح الشيخ الأمين رحمه الله أن قول جمهور العلماء - منهم أبو حنيفة، ومالك، وأصحاب أحمد، وغيرهم - في الذي يستعمل السحر ويتعلمه أنه يكفر بذلك. وفي رواية عن أحمد ما يقتضي عدم كفره. وفصل الشافعي رحمه الله في هذه المسألة، فقال: «إذا تعلم السحر، قلنا له: صف لنا سحرك. فإن وصف ما يوجب الكفر؛ مثل ما في سحر أهل بابل من التقرب للكواكب، وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر: فإن اعتقد إباحته فهو كافر، وإلا فلا»[4].

---

(١) يعني قوله تعالى (في سورة البقرة، الآية ١٠٢) ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد صـ ٣٨٣.

(٤) انظر: أضواء البيان ٤/ ٤٥٥. وانظر أيضاً: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٧٦. والمغني ١٢/ ٣٠٠. وتيسير العزيز الحميد ص ٣٨٤. وكتاب الدين الخالص ٢/ ٣٢٢.

وقول الشيخ الأمين رحمه الله في هذه المسألة شبيه بقول الشافعي وأصحابه، حيث إنه لا يكفر الساحر إلا أن يكون في سحره شرك بالله، فإن كان يتم بدون الإشراك بالله فهو لا يصل إلى الكفر، ولكنه محرم تحريماً شديداً، فيقول رحمه الله موضحاً هذا المعنى: «والتحقيق في هذه المسألة هو التفصيل، فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر، فهو كفر بلا نزاع. ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة؛ فإنه كفر بلا نزاع، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾[2]، وقوله: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾[4] . . . . وإن كان السحر لا يقتضي الكفر؛ كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها: فهو حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر»[5].

والشيخ الأمين رحمه الله ربط حكم السحر بما يتصل به من أسباب؛ فإن كانت أسبابه كفراً، وكان لا يتم إلا بالتقرب إلى الشياطين والكواكب: فهو من أنواع السحر التي يكفر متعاطيها، وإن كانت أسبابه غير مكفرة؛ بمعنى أن الساحر لا يعظم أحداً سوى الله، ولا يدّعي أنه يعلم الغيب، ولا يصرف شيئاً من العبادة لغير الله: فهذا ليس كفراً وإن اشتمل على التخييل والكذب والخداع والغش، بل هو عمل محرم من كبائر الذنوب.

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٠٢].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٠٢].

(٣) سورة البقرة، الآية [١٠٢].

(٤) سورة طه، الآية [٦٩].

(٥) أضواء البيان ٤/ ٤٥٦ .

وللإمام النووي[1] رحمه الله كلام قريب من هذا المعنى ؛ فقد قال رحمه الله عن حكم السحر : «إنه قد يكون كفراً، وقد لا يكون كفراً، بل معصية كبيرة. فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا. وأما تعلمه وتعليمه فحرام ؛ فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا. وإذا لم يكن فيه ما يقتضى الكفر عزر، واستتيب منه، ولا يقتل عندنا. فإن تاب قبلت توبته»[2].

وهكذا يتبين أن كلام العلماء رحمهم الله يتفق مع ما ذكره الشيخ الأمين رحمه الله من عدم كفر الساحر مطلقاً، بل الأمر فيه تفصيل - كما مر معنا-.

(١) تقدمت ترجمته صـ ٢٢٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٧٦. وانظر للاستزادة أيضاً : فتح الباري ١٠/ ٢٣٥. وتيسير العزيز الحميد صـ٣٨٤.

حد الساحر :

اختلف العلماء رحمهم الله في حد الساحر : هل يقتل بمجرد فعله السحر ، أو لا ؟ .

فذكر الشيخ الأمين رحمه الله أقوال العلماء في هذه المسألة ، وذكر أدلتهم ، ثم ذكر ما ترجح لديه من هذه الأقوال .

وسوف أستعرض أقوال العلماء ، وأدلتهم ، وما ترجح لدى الشيخ الأمين رحمه الله في هذه المسألة :

اتفق الأئمة الأربعة على قتل الساحر كفراً إذا تضمن سحره الكفر[1] .

أما إن قتل بسحره إنساناً ، ولم يكن سحره متضمناً الكفر : فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله . أما أبو حنيفة رحمه الله فقال : لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك ، أو يقرّ بذلك في حقّ شخص معين .

وإذا قتل فإنه يقتل حداً عندهم إلا الشافعي فإنه قال : يقتل والحالة هذه قصاصا[2] .

أما هل يقتل الساحر بمجرد فعله السحر؟

قال مالك وأبو حنيفة ورواية عن أحمد : يقتل[3] .

وقال الشافعي : الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر يقتل ، فإذا عمل عملاً دون الكفر لم نر عليه قتلا[4] . وهو رواية عن أحمد[5] .

أما عن قبول توبة الساحر : فقد منع من قبولها الإمام أبو حنيفة ، والإمام

(١) انظر : تفسير القرطبي ٢/ ٣٣ . وأضواء البيان ٤/ ٤٥٧ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ١/ ١٤٧ . وشرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٧٦ .

(٣) انظر : المغني ١٢/ ٣٠٢ . وتيسير العزيز الحميد صـ٣٩١ .

(٤) انظر : فتح الباري ١٠/ ٢٤٧ . والمغني ١٢/ ٣٠٢ .

(٥) انظر : المغني ١٢/ ٣٠٢ . وتيسير العزيز الحميد صـ ٣٩١ .

مالك، والإمام أحمد في رواية. وقال الإمام الشافعي والإمام أحمد في رواية أخرى: تقبل توبته. وأما ساحر أهل الكتاب: فعند أبى حنيفة أنه يقتل كما يقتل ساحر المسلمين. وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يقتل: يعني لقصة لبيد بن الأعصم.

وأما الساحرة التي تنتسب إلى الإسلام: فعند أبى حنيفة أنها لا تقتل، ولكن تحبس. وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل[1].

ونخلص من ذلك إلى أنه لا خلاف بين العلماء في قتل الساحر إذا اشتمل سحره على الكفر، أو قتل بسحره شخصاً معيناً بإقراره وإنما الخلاف في قتل الساحر الذي يشتمل سحره على عمل دون الكفر - كما مر عند ذكر أقوال العلماء في ذلك-.

وقد ترجح لدى الشيخ الأمين رحمه الله أن الساحر الذي لا يتمّ سحره إلا بالكفر: يقتل كافراً إن لم يتب؛ لأنه قد ارتد وبدل دينه. لكن إن استتيب فتاب وأناب فالراجح قبول توبته:

يقول رحمه الله: «إن السحر نوعان... منه ما هو كفر، ومنه ما لا يبلغ بصاحبه الكفر. فإن كان الساحر استعمل السحر الذي هو كفر: فلا شك في أنه يقتل كفراً؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه»[2]. وأظهر القولين عندي في استتابته: أنه يستتاب، فإن تاب قبلت توبته»[3].

ويعلل رحمه الله ترجيحه قبول توبة الساحر، فيقول: «لأن الله لم يأمر

(١) انظر: تفسيرابن كثير ١٤٧/ ١. وأضواء البيان ٤/ ٤٥٦، ٤٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ٨/ ١٦٣.

(٣) أضواء البيان ٤/ ٤٥٨.

نبيه، ولا أمته صلى الله عليه وسلم بالتنقيب عن قلوب الناس، بل بالاكتفاء بالظاهر. وما يخفونه في سرائرهم أمره إلى الله تعالى»[1].

وأما ساحر أهل الكتاب: فيؤكد رحمه الله أنه يقتل، فيقول: «وأظهر الأقوال عندنا أنه لا يكون أشد حرمة من ساحر المسلمين، بل يقتل كما يقتل ساحر المسلمين»[2].

وأما من استدلّ بقصة لبيد بن الأعصم على عدم قتل ساحر أهل الكتاب: فقد ردّ عليه الشيخ الأمين رحمه الله، وبين سبب عدم قتل لبيد بن الأعصم مع أنه سحر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «بينت الروايات الصحيحة أنه ترك قتله اتقاء إثارة فتنة. فدلّ على أنه لولا ذلك لقتله. وقد ترك المنافقين لئلا يقول الناس محمد يقتل أصحابه، فيكون في ذلك تنفير عن دين الإسلام، مع اتفاق العلماء على قتل الزنديق؛ وهو عبارة عن المنافق - والله أعلم -»[3]

وأما المرأة الساحرة: فيرجح رحمه الله أن حكمها حكم الرجل على التفصيل المتقدم، فيقول: «وأظهر القولين عندي: أن المرأة الساحرة حكمها حكم الرجل الساحر، وأنها إن كفرت بسحرها قتلت كما يقتل الرجل؛ لأن لفظة «من» في قوله: «من بدل دينه فاقتلوه»[4] تشمل الأنثى على أظهر القولين وأصحهما إن شاء الله تعالى. ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى﴾ الآية[5]؛ فأدخل الأنثى في لفظة «من»، وقوله تعالى: ﴿يا نساء النبي من يأت منكنّ﴾ الآية[6]

(١) المصدر نفسه ٤/ ٤٥٨.

(٢) أضواء البيان ٤/ ٤٧١.

(٣) المصدر نفسه ٤/ ٤٧١.

(٤) تقدم تخريجه قبل صفحتين.

(٥) سورة النساء، الآية [١٢٤].

(٦) سورة الأحزاب، الآية [٣٠].

وقوله: ﴿ومن يقنت منكنّ لله﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات»[2]

وللعلماء أدلة وحجج في قتل الساحر وعدمه. وقد ذكر الشيخ الأمين رحمه الله هذه الأدلة وناقشها، ثم رجح ما يظهر له أنه الصواب من الأقوال في ذلك. وهاك تفصيل ذلك:

أولاً: الذين قالوا بقتل الساحر مطلقاً: استدلوا بآثار عن الصحابة، وحديث. فمن هذه الآثار:

١- قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل موته بسنة: «اقتلوا كل ساحر». قال الراوي: فقتلنا في يوم واحد ثلاث سواحر[3].

٢- وما رواه مالك من أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت[4].

٣- وما رواه البخاري في تاريخه الكبير: «كان عند الوليد رجل يلعب. فذبح إنساناً وأبان رأسه، فجاء جندب الأزدي[5] فقتله»[6].

٤- وبما رواه الترمذي والدارقطني عن جندب قال: قال رسول الله

---

(١) سورة الأحزاب، الآية [٣١].

(٢) أضواء البيان ٤/ ٤٥٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٣/ ٤٣١ - ٤٣٢. وقال عنه الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: إسناده حسن.
(انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٩١ - ٣٩٢).

(٤) الموطأ ٢/ ٨٧١.

(٥) هو جندب بن كعب بن عبد الله الأزدي، أبو عبد الله الغامدي. الملقب بـ«جندب الخير». قال علي بن المديني، وابن حبان: له صحبة.
(انظر: الاستيعاب ١/ ٢١٨. والإصابة ١/ ٢٥٠)

(٦) التاريخ الكبير للبخاري / القسم الثاني من الجزء الأول صـ٢٢٢.

صلى الله عليه وسلم : «حد الساحر ضربة بالسيف»[1] .

قال الشيخ الأمين رحمه الله عن هذه الأدلة : «فهذه الآثار التي لم يعلم أن أحداً من الصحابة أنكرها على من عمل بها ، مع اعتضادها بالحديث المرفوع المذكور . وهي حجة من قال بقتله مطلقاً . والآثار المذكورة ، والحديث فيهما الدلالة على أنه يقتل ولو لم يبلغ به سحره الكفر ؛ لأن الساحر الذي قتله جندب رضي الله عنه كان سحره من نحو الشعوذة والأخذ بالعيون ، حتى إنه يخيل إليهم أنه أبان رأس الرجل ، والواقع بخلاف ذلك . وقول عمر : «اقتلوا كل ساحر» يدل على ذلك لصيغة العموم[2]»[3] .

فالشيخ رحمه الله يرى أن هذه الأدلة قوية ومعتبرة ، ولها وزنها في الحكم ؛ (أعني الحكم بقتل الساحر مطلقاً) ؛ حيث إنها من عمل بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، ولم يعلم أن أحداً من الصحابة أنكرها على من عمل بها .

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٦٠ ، وقال : والصحيح عن جندب موقوف . وسنن الدارطني ٣/ ١١٤ .

وقال الشيخ الألباني : ضعيف (كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣/ ٦٤١) ، وقال الشيخ الأمين : لا يصح (كما في أضواء البيان ٤/ ٤٥٩) .

(٢) قال الشيخ الأمين رحمه الله عن الساحر الذي قتله جندب : «إن سحره من نحو الشعوذة ، والأخذ بالعيون ، وليس ذلك مما يقتضي الكفر المخرج من ملة الإسلام» (كما في أضواء البيان ٤/ ٤٦٢) . ويفهم من كلامه أن سحر التخييل ليس كفراً .

ولست أدري كيف يتفق كلامه هنا مع كلامه عن سحرة فرعون - (الذين كان سحرهم تخييلاً) - عندما فسر قوله تعالى : ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ فقال : «وذلك دليل على كفره ؛ لأن الفلاح لا ينفى بالكلية نفياً عاماً إلا عمن لا خير فيه ، وهو الكافر»(أضواء البيان ٤/ ٤٤٢) .

وقد فصل رحمه الله - كما مر معنا فيما مضى - في حكم الساحر ؛ إن كان لا يتم سحره إلا بالكفر فهو كافر ، وإن كان لا يبلغ الكفر فهو محرم حرمة شديدة . وسحر الشعوذة والتخييل قد لا يتم إلا بطاعة الشيطان ، والكفر بالرحمن ، فيكفر فاعله بالله العظيم . وعلى هذا المنهج يقال إن سحر الشعوذة والتخييل ليس مما يقتضي الكفر المخرج من ملة الإسلام على إطلاقه ، بل الأمر فيه التفصيل السابق .

(٣) أضواء البيان ٤/ ٤٦١ .

ثانياً : أدلة من فصّلوا في الحكم على الساحر :

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله أدلة الفريق الثاني، وهي كما يلى :

١ - استدلوا بما رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»[١] .

ووجه الاستشهاد بهذا الحديث : أن السحر الذي لم يكفر صاحبه ليس من الثلاث المذكورة في الحديث .

٢ - واحتجوا بأن عائشة رضي الله عنها باعت مدبرة لها سحرتها[٢] .

ولو وجب قتلها لما جاز بيعها .

وذكر الشيخ رحمه الله أن بعضهم [٣] أراد أن يوفق بين أدلة الفريقين بحمل أدلة الفريق الأول الدالة على قتل الساحر مطلقاً بأن المراد السحر الذي يشتمل على كفر . أما الذي لا يبلغ سحره الكفر فتحمل عليه أدلة من قال بعدم القتل .

لكن الشيخ رحمه الله لم يرتض هذا الجمع، ورد على ذلك بقوله : «لا يصح ؛ لأن الآثار الواردة في قتله جاءت بقتل الساحر الذي سحره من نوع الشعوذة ؛ كساحر جندب الذي قتله . وليس ذلك مما يقتضي الكفر المخرج من ملة الإسلام كما تقدم إيضاحه ؛ فالجمع غير ممكن . وعليه فيجب الترجيح : فبعضهم يرجح عدم القتل ؛ بأن دماء المسلمين حرام إلا

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ٣٨ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٣٧ .

(٣) أمثال ابن المنذر - الذي نقل ذلك القرطبي عنه، ووافقه عليه - .
(انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٤) .

بيقين[1] . وبعضهم يرجح القتل ؛ بأن أدلته خاصة، ولا يتعارض عام وخاص لأن الخاص يقضي على العام عند أكثر أهل الأصول كما هو مقرر في محله»[2] .

والشيخ الأمين رحمه الله يميل إلى القول بعدم قتل الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر، فيقول : «والأظهر عندي أن الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر، ولم يقتل به إنساناً أنه لا يقتل ؛ لدلالة النصوص القطعية والإجماع على عصمة دماء المسلمين عامة إلا بدليل واضح . وقتل الساحر الذي لم يكفر بسحره لم يثبت فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والتجرؤ على دم مسلم من غير دليل صحيح من كتاب أو سنة مرفوعة غير ظاهر عندي .

والعلم عند الله تعالى . مع أن القول بقتله قوي جداً بفعل الصحابة له من غير نكير»[3] .

وما قاله الشيخ رحمه الله : قال به قبله الشافعي، وأحمد - في رواية- وابن المنذر[4] ، والنووي[5] ، والقرطبي[6] .

حل السحر عن المسحور :

يقال لحل السحر عن المسحور، وكشفه وعلاجه : النشرة . وقد نقل الشيخ الأمين رحمه الله اختلاف العلماء في حكمها ، فذكر أن بعضهم قد أجازها، وبعضهم قد منع منها .

(١) كما قال القرطبي (انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٤).
(٢) أضواء البيان ٤/ ٤٦٢ .
(٣) أضواء البيان ٤/ ٤٦٢ .
(٤) هو الإمام الحافظ العلامة أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري . صاحب التصانيف الرائعة في اختلاف العلماء ولد بنيسابور سنة (٢٤٢هـ) ، وتوفي سنة (٣١٨هـ).
(انظر : سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٩٠ - ٤٩٢ . والأعلام للزركلي ٦/ ١٨٤).
وقد نقل قوله ، وقول الشافعي وأحمد في ذلك صاحب تيسير العزيز الحميد صـ٣٩١.
(٥) كما في شرحه على صحيح مسلم ٧/ ١٧٦ .
(٦) كما في الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٤ .

وممن أجازها : سعيد بن المسيب (١) رحمه الله تعالى ؛ قال قتادة(٢) : (قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طبّ(٣) ، - أو يؤخذ عن امرأته - أيُحلّ عنه ، أو ينشر ؟ قال : لا بأس ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه)(٤) .

ومال إلى هذا المزني (٥) ، وقال الشعبي (٦) : لا بأس بالنشرة(٧) . وكذا قال أبو جعفر الطبرى . وممن كرهها : الحسن البصري (٨) .

أما الشيخ رحمه الله فيرى أن السحر إن كان يحل بالآيات الشرعية ، والأدعية المأثورة : فهذا مباح . وإن كان لا يحل إلا بسحر مثله ، أو شيء ممنوع شرعاً : فهذا لا يجوز .

يقول رحمه الله : «إن استخراج السحر إن كان بالقرآن والمعوذتين وآية الكرسى ، ونحو ذلك مما تجوز الرقية به : فلا مانع من ذلك . وإن كان

---

(١) ابن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي ، أبو محمد . سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة . توفي سنة (٩٤هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧ والبداية والنهاية ٩/ ١٠٥) .

(٢) هو قتادة بن دعامة بن عزيز البصري المحدث المفسر . كان من أوعية العلم ، وأحد علماء التابعين . توفي سنة (١١٧هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩ . والبداية والنهاية ٩/ ٣٢٥) .

(٣) قال أبو عبيد : طُبّ : أي سحر ، يقال منه : رجل مطبوب . ونرى أنه إنما قيل له مطبوب لأنه كنى بالطب عن السحر ، كما كنوا عن اللديغ فقالوا : سليم .
(انظر : تهذيب اللغة ١٣/ ٣٠٢) .

(٤) أخرجه البخاري ٧/ ٢٩ .

(٥) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري تلميذ الشافعي . ولد سنة (١٧٥هـ) ، وتوفي سنة (٢٦٤هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٢) .

(٦) هو الإمام الحافظ عامر بن شراحيل بن عبد الله الشعبي . راوية التابعين . توفي سنة (١٠٤هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤) .

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٥ .

(٨) هو الحسن بن أبي الحسن ؛ يسار . أبو سعيد مولى زيد بن ثابت . كان سيد أهل زمانه علما وعملاً . توفي سنة (١١٠هـ) .
(انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣ . والبداية والنهاية ٩/ ٢٧٨)
ونقل عنه الكراهة الشيخ الأمين في أضواء البيان ٤/ ٤٦٥ .

بسحر، أو بألفاظ عجمية، أو بما لا يفهم معناه، أو بنوع آخر مما لا يجوز : فإنه ممنوع. وهذا واضح ، وهو الصواب إن شاء الله تعالى كما ترى»(١).

فالشيخ رحمه الله لم يمنع النشرة إن كانت بسبب مباح شرعاً. أما النشرة التي تكون عن طريق الشيطان والسحرة : فهذه التي منعها؛ لأن السحر من السبع الموبقات، فكيف يحل الذهاب إلى الساحر والطلب منه أن يفك السحر، والله سبحانه وتعالى لم يجعل شفاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيما حرم عليها.

وأختم هذه المسألة بكلام للشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن(٢) رحمه الله في النشرة ، يقول فيه : «إن ما كان منه بالسحر فيحرم. وما كان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة فجائز . والله أعلم»(٣).

وهذا الكلام يتوافق مع ما قاله الشيخ الأمين رحمه الله في هذه المسألة.

قدر تأثير الساحر في المسحور :

أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى أن هناك خلافاً بين العلماء في بيان القدر الذي يمكن أن يبلغه تأثير السحر في المسحور.

وقد فصّل الشيخ رحمه الله في هذه المسألة، وجعل لها واسطة وطرفين.

فالطرف الأول : لاخلاف في أن تأثير السحر يبلغه ؛ كالتفريق بين الرجل وامرأته، وكالمرض الذي يصيب المسحور من السحر ، ونحو ذلك.

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٤٦٠.

(٢) هو العلامة عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. ولد في الدرعية سنة (١١٩٣هـ) ، وتوفي في الرياض سنة (١٢٨٥هـ) .(انظر: علماء نجد ١/ ٥٦).

(٣) فتح المجيد صـ٢٤٣. ويعزى هذا القول إلى الحافظ ابن القيم كما في كتاب التوحيد للشيخ محمد ابن عبد الوهاب انظر فتح المجيد صـ٢٤٣.

واستدل على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة:

أما الكتاب : فأشار إلى قوله تعالى : ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾[1] .

وأما من السنة : فأورد الحديث الثابت في الصحيحين، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ، ولا يأتيهن[2] .

والطرف الثاني : لا خلاف في أن تأثير السحر لا يمكن أن يبلغه ؛ كإحياء الموتى، وفلق البحر ، ونحو ذلك .

وأما الواسطة: فهي التي وقع فيها الخلاف بين العلماء.

وأمثلتها : هل يجوز أن ينقلب الإنسان بالسحر حماراً . أو الحمار إنسانا؟ وهل يصحّ أن يطير الساحر في الهواء؟ أو يدقق جسمه حتى يتمكن من الدخول من كوة ضيقة؟ أو ينتصب على رأس قصبة؟ أو يجري على خيط مستدق؟ أو يمشي على الماء، ويركب الكلب، ونحو ذلك؟

ثمّ ذكر رحمه الله أن بعض الناس جعل من مقدور الساحر أن يفعل هذه الأمور . ومنهم الفخر الرازي[3] . وبعضهم منع ذلك[4] .

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٠٢].

(٢) أخرجه البخاري ٧/ ٢٩ .

(٣) هو فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني . ويعرف بابن الخطيب . كان من قائمة الأشاعرة، وذكر ابن كثير أنه رجع إلى معتقد السلف . توفي سنة (٦٠٦هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٠).

(٤) انظر : أضواء البيان ٤/ ٤٦٦ - ٤٦٧ .

وممن أجازه المازري[1]، وقال : هو مذهب الأشعرية[2] ؛ لأنه لا فاعل إلا الله تعالى[3].

وكذلك أجازه القرطبي، ونقل ذلك عن بعض مشايخه، فقال : «قالوا : ولا يبعد في السحر أن يستدق جسم الساحر حتى يتولج في الكوات والخوخات، والانتصاب على رأس قصبة، والجري على خيط مستدق، والطيران في الهواء ، والمشي على الماء ، وركوب كلب، وغير ذلك. ومع ذلك فلا يكون السحر موجباً لذلك، ولا علة لوقوعه، ولا سبباً مولداً، ولا يكون الساحر مستقلاً به، وإنما يخلق الله تعالى هذه الأشياء ويحدثها عند وجود السحر. كما يخلق الشبع عند الأكل ، والري عند شرب الماء»[4].

أما موقف الشيخ رحمه الله فيختلف عن موقف من أجازه بهذا المعنى الذي تقدم ؛ فإنه رحمه الله قد أوضح أن هذا النوع من السحر مقتدر

---

(١) هو العلامة محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، من كبار فقهاء المالكية، كان بصيراً بعلم الحديث. توفي سنة (٥٣٦هـ).
(انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٠٤. وشذرات الذهب ٤/ ١١٤).

(٢) هم أتباع أبي الحسن الأشعري، وعلى مذهبه في طوره الثاني، وكان - في طوره الثاني- على معتقد الكلابية، ثم رجع إلى معتقد أهل السنة والجماعة، والأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام، جبرية في باب القدر، أما في الصفات فليسوا بجهمية بل فيهم نوع من التجهم.
(راجع : الفتاوى ٦/ ٥٥. وانظر : الملل والنحل صـ٩٤ - ١٠٣. ومقدمة تحقيق د/ عبد الله شاكر لرسالة أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري صـ٦٣ - ٦٨).

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٧٥.
(وانظر صـ٢٦٣ ففيها نقد للعبارة الأخيرة لأنها خطأ).

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٣. إلا أنه لم يذكر تحويل الساحر الإنسان إلى حمار، والحمار إلى إنسان.

ونقل عنه الحافظ ابن حجر قوله : (والحقّ أنّ لبعض أصناف السحر تأثيراً في القلوب ؛ كالحبّ والبغض وإلقاء الخير والشر، وفي الأبدان ؛ بالألم والسقم. وإنما المنكور أنّ الجماد ينقلب حيواناً أو عكسه بسحر الساحر، ونحو ذلك).
(انظر : فتح الباري ١٠/ ٢٣٣).

للساحر على سبيل أن الله هو خالق الأسباب ومسبباتها. وما يجري من هذه الأفعال فالسحر سبب له. لكنه رحمه الله يميل إلى أن هذه الأمثلة هي من نوع التخييل والشعوذة، ليست من نوع تغيير طبيعة الشيء إلى غيرها. وقد أكد أنّ هذا المعنى هو الأظهر عنده فقال: «أما بالنسبة إلى أنّ الله قادر على أن يفعل جميع ذلك، وأنه يسبب ما شاء من المسببات على ما شاء من الأسباب وإن لم تكن هناك مناسبة عقلية بين السبب والمسبب كما قدمناه مستوفي في سورة مريم[1]، فلا مانع من ذلك والله جلّ وعلا يقول: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾[2]. وأما بالنسبة إلى ثبوت وقوع مثل ذلك بالفعل فلم يقم عليه دليل مقنع؛ لأن غالب ما يستدلّ عليه به قائله حكايات لم تثبت عن عدول، ويجوز أن يكون ما وقع منها من جنس الشعوذة والأخذ بالعيون، لا قلب الحقيقة مثلاً إلى حقيقة أخرى. وهذا هو الأظهر عندي، والله تعالى أعلم»[3].

وأوضح كلام الشيخ رحمه الله ببعض النقاط:

أولاً: ما قاله الشيخ الأمين رحمه الله من أنّ الله قادر على أن يفعل، وأنه سبحانه يجعل بعض الأسباب لها تأثير في بعض الأشياء. هذا هو معتقد أهل السنة في أفعال الله سبحانه وتعالى. والشيخ رحمه الله بهذا الكلام يردّ على من جعل بمقدور الساحر أن يفعل ما مرّ معنا من الأمثلة، على كون الله هو الفاعل، وأن الساحر لا سبب له في ذلك ولا قدرة، وإنما خلقه الله عندما يريد الساحر ذلك، لاكونه جعله الله سبباً لحصول هذه الأمور. وهذا هو قول من ينكر حكمة الله والأسباب التي جعلها الله سبباً لحصول بعض

(١) ذكر الشيخ ذلك في أضواء البيان ٤/ ٢٥٠.

(٢) سورة البقرة، الآية [١٠٢].

(٣) أضواء البيان ٤/ ٤٦٧ - ٤٦٨.

الأشياء ، ولافعل للعبد عندهم، والله هو الفاعل . وهذا هو قول الأشاعرة كما مرّ معنا ، وهو مخالف للنقل والعقل وهو حقيقة قول الجبرية[1] . وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله مقدورات الله، وأنها على قسمين ، فقال : «منها ما يفعله بواسطة قدرة العبد ؛ كأفعال العباد وما يصنعونه . ومنها ما يفعله بدون ذلك ؛ كإنزال المطر»[2]

وبهذا يتضح مراد الشيخ الأمين رحمه الله ؛ وهو أنّ الله يعطي الساحر من الأسباب ما به يستطيع أن تحصل له هذه الأمور، والله هو خالق الأسباب ومسبباتها .

ثانياً : ما ذكر الشيخ رحمه الله من الأمثلة المختلف فيها عن مقدورات الساحر : فهي بمقدور الخلق من الجنّ والإنس فعله، وليست بصعبة عليهم . أما المثال الذي ذكره ضمن الأمثلة ؛ وهو أن الساحر بمقدوره أن يقلب الإنسان حماراً ، والحمار إنساناً : فهذا ليس باستطاعة الخلق فعله ؛ لأنه ليس من مقدورهم، إلا على سبيل التخييل والشعوذة ؛ لأن السحرة تساعدهم الشياطين، وهذا الأمر ليس باستطاعة الشياطين فعله؛ لأنها لا تستطيع قلب عين إلى آخر، ولا التصرف في الطبائع والحقائق، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وجميع ما يختص بالسحرة والكهان وغيرهم ممن ليس بنبيّ : لا يخرج عن مقدور الإنس والجنّ . وأعني بالمقدور : ما يمكنهم التوصل إليه بطريق من الطرق . . . . فما يقدر عليه الساحر من سحر بعض الناس حتى يمرض أو يموت هو من مقدور الجنّ ،

---

(١) فالله هو الخالق- والعبد هو الفاعل فهو المصلي والصائم، والسارق والشارب ، فهذه أفعال العبد التي يثاب ويعاقب عليها والله الخالق : والله خلقكم وما تعملون ، فالله خالق أفعال العباد، والعباد يفعلون أفعالهم حقيقة . هذا معتقد أهل السنة ، وانظر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حول هذا الموضوع ٣/ ١٢ - ٢٠ .

(٢) النبوات ص ٤١٧ .

وهو من جنس مقدور الإنس»[1].

وقال أيضاً: «فإنّ الساحر قد يصعد في الهواء والناس ينظرونه، وقد يركب شيئاً من الجمادات؛ إما قصبة، وأما خابية، وإما مكنسة، وإما غير ذلك فيصعد به الهواء، وذلك أنّ الشياطين تحمله. وتفعل الشياطين هذا ونحوه بكثير من العباد والضلال من عباد الشركس... وكذلك المشي على الماء: قد يجعل له الجن ما يمشي عليه وهو يظن أنه يمشي على الماء، وقد يخيلون إليه أنه التقى طرفا النهر ليعبر، والنهر لم يتغير في نفسه، ولكن خيلوا إليه ذلك»[2].

إذاً: ما يفعله الساحر من هذه الأمور يكون بمساعدة الشيطان له، فتتضافر قدرة الشيطان مع فعل الساحر فيحصل المطلوب.

فالشياطين يتلبسون بالسحرة، ويحققون مآربهم إذا أطاعوهم، لكن لا يتستطيعون قلب عين إلى أخرى؛ لأنه ليس بمقدور الخلق فعل ذلك، وإنما هو الله وحده.

والشيخ الأمين رحمه الله يميل إلى أنّ هذه الأمور التي يظهر منها أنّ عين الشيء انقلبت إلى أخرى هي من التخييل والشعوذة، وسحر عين الرائي، وليس من قلب الحقيقة إلى أخرى.

ولا شك أن عمل الساحر إما أن يكون بالتأثير على أعين الناس؛ فيرون الشيء على غير حقيقته. وإما أن يكون التأثير في المشاهد بفعل السحر الذي يتم بتعاون الشياطين مع السحرة؛ قال ابن القيم رحمه الله: «إنّ الساحر يفعل هذا وهذا؛ فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به. وتارة يتصرف في المرئي باستعانته بالأرواح الشيطانية

(١) النبوات ص٣٩١.
(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

حتى يتصرف فيها»[1].

وكل ذلك - ولله الحمد - ليس فيه قلب للحقائق كما قال الشيخ الأمين رحمه الله ؛ لأن السحر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لا يتعدى مقدور الخلق، والخلق ليس باستطاعتهم قلب الطبائع .

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٢٢٨ .

المطلب السادس

البناء على القبور

من أعظم الأمور خطرا على عقيدة المسلم : هذه الفتنة التي انتشرت في الكثير من بلاد المسلمين ؛ ألا وهي فتنة البناء على القبور، ورفع القباب الفخمة، والمباني الكبيرة عليها، وإنفاق الأموال الطائلة على زخرفتها وتزويقها. فإذا رآها الجاهل عظمها في قلبه، ودخلت عليه المهابة من صاحب القبر. فصار ذلك وسيلة للوقوع في الشرك ؛ إذ قد يزين له الشيطان أن يطلب من صاحب القبر الذي اعتقد أنه عظيم من العظماء ووقعت في قلبه مهابته ما لا يقدر عليه إلا الله فيقع في الشرك الذي حذرنا منه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

وسداً لهذه الذريعة نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إقامة الأبنية على القبور، ولعن من يفعل ذلك ؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»(١).

ولا شك أنّ البناء على القبور محادة لله ورسوله. ورغم أنه كذلك فقد صار في بعض بلدان المسلمين ديناً يتقرب به إلى الله ؛ وذلك بسبب جهل الناس ، وقلة من ينكر عليهم ذلك.

وقد ذكر الشيخ الأمين رحمه الله أن بعض من يفعل ذلك زعم أن الكتاب والسنة دلا على اتخاذ المساجد على القبور، وذكر رحمه الله أن عمدتهم في

---

(١) أخرجه الترمذي ٢/ ١٣٦، وقال : حديث حسن.

ذلك قوله تعالى : ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾[1]، وما ثبت في الصحيح من أنّ موضع مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كان فيه قبوراً للمشركين[2].

وقد عقب رحمه الله على هذا الاستدلال الذي به جوزوا البناء على القبور بوصفه إياه بأنه : «في غاية السقوط، وقائله من أجهل خلق الله»[3].

وقد تبنى رحمه الله رد الإمام الطبري رحمه الله على من استدل بهذه الآية، وهذا الحديث على جواز البناء على القبور بقوله : «وقد قال أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله تعالى في هؤلاء القوم ما نصه : وقد اختلف في قائليّ هذه المقالة[4] : أهم الرهط المسلمون، أم هم الكفار ؟ فإذا علمت ذلك فاعلم أنهم على القول بأنهم كفار ، فلا إشكال في أن فعلهم ليس بحجة ؛ إذ لم يقل أحد بالاحتجاج بأفعال الكفار كما هو ضروري. وعلى القول بأنهم مسلمون كما يدلّ له ذكر المسجد ؛ لأن اتخاذ المساجد من صفات المسلمين، فلا يخفى على أدنى عاقل أن قول قوم من المسلمين في القرون الماضية أنهم سيفعلون كذا لا يعارض به النصوص الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من طمس الله بصيرته؛ فقابل قولهم : ﴿لنتخذنّ عليه مسجدا﴾[5] بقوله صلى الله عليه وسلم في مرض موته قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بخمس : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» الحديث[6]. يظهر لك أنّ من اتبع هؤلاء القوم في

---

(١) سورة الكهف، الآية [٢١].

(٢) سيأتي تخريجه عند الردّ على استدلالهم به بعد صفحتين.

(٣) أضواء البيان ٣/ ١٧٦.

(٤) يقصد : الذين قالوا : لنتخذن عليهم مسجداً- كما حكى الله عنهم ذلك-.

(٥) سورة الكهف، الآية [٢١].

(٦) أخرجه مسلم ١/ ٣٧٦، من حديث عائشة رضي الله عنها.

اتخاذهم المسجد على القبور ملعون على لسان الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم كما هو واضح . ومن كان ملعوناً على لسانه صلى الله عليه وسلم فهو ملعون في كتاب الله، كما صحّ عن ابن مسعود رضي الله عنه ؛ لأنّ الله يقول : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾[1] . . . »[2] .

وبذلك يتضح أنّ هذه الآية لا تدل على جواز البناء على القبور كما زعم بعضهم .

وقد قال العلامة الألوسي[3] رحمه الله : «وكيف يمكن أن يكون اتخاذ المساجد على القبور من الشرائع المتقدمة، مع ما سمعت من لعن اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[4] .

وهذا واضح ؛ إذ لو كان شرعاً لمن قبلنا لما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله من الأمم الماضية، فدلّ على أنه من الأمور المحرمة عند جميع الأمم ؛ لأنه من وسائل الشرك . وكما هو معروف فإنّ الأنبياء جميعهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويسدون الذرائع الموصلة إلى عبادة غيره جل وعلا .

أما استدلالهم بأنه كان في موضع مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قبور للمشركين ؛ فقد نقل الشيخ الأمين رحمه الله ردّ الإمام الطبرى على هؤلاء فقال رحمه الله : «وأما استدلالهم بأن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مبني في محل مقابر المشركين : فسقوطه ظاهر ؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أمر بها فنبشت وأزيل ما فيها ؛ ففي الصحيحين من

---

(١) سورة الحشر، الآية [٧].

(٢) نقلاً عن أضواء البيان ٣/ ١٧٧ ؛ فإني لم أعثر عليه في تفسير الطبري .

(٣) شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسني الألوسي . ولد في بغداد سنة (١٢١٧هـ) . وتوفي سنة (١٢٧٠هـ) . من تصانيفه : روح المعاني، (انظر : الأعلام ٧/ ١٧٦ - ١٧٧ . والتفسير والمفسرون ١/ ٣٥٢) .

(٤) روح المعاني ١٥/ ٢٣٩ .

حديث أنس رضي الله عنه : «فكان فيه ما أقول لكم : قبور المشركين، وفيه خرب، وفيه نخل. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطع. فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة. . . » الحديث. هذا لفظ البخاري[1]، ولفظ مسلم قريب منه بمعناه[2]. فقبور المشركين لاحرمة لها، ولذلك أمر صلى الله عليه وسلم بنبشها وإزالة ما فيها، فصار الموضع كأن لم يكن فيه قبر أصلاً؛ لإزالته بالكلية. وهو واضح كما ترى»[3].

ولذلك لا يوجد - ولله الحمد - أدلة يتمسك بها من أجاز البناء على القبور ؛ لأنّ مبدأ عبادة الأوثان أصلها من الفتنة بالمقبورين. لذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها، وحذر أمته من ذلك. وكلّ ذلك من نصحه عليه الصلاة والسلام لأمته، ومن حرصه على حماية جناب التوحيد؛ فالفتنة بالمقبورين من الوسائل الموصلة إلى عبادتها من دون الله جل وعلا، وهذا ما يريده الشيطان من المؤمنين؛ يريد أن يضلهم ضلالاً بعيداً .

وقد بيّن الشيخ الأمين رحمه الله حرمة البناء على القبور فقال : «والتحقيق الذي لا شك فيه أنه لا يجوز البناء على القبور ولا تجصيصها ؛ لما وراه مسلم في صحيحه وغيره عن أبى الهياج الأسدي[4] أن عليا رضي الله عنه قال له : «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[5] ، ولما ثبت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١١١ .

(٢) انظر صحيح مسلم ١/ ٣٧٣ .

(٣) نقلاً عن أضواء البيان ٣/ ١٧٧ .

(٤) هو حيان بن حصين الكوفي، روى عن علي ، وعمار ، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي : تابعي ثقة. (انظر : تهذيب التهذيب٣/ ٦٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٦٦٦ .

في صحيح مسلم وغيره أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه»[1] . فهذا النهي ثابت عنه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال : «إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»[2] وقال جل وعلا : ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾»[3] .

وهذه النصوص الشرعية التي ذكرها الشيخ رحمه الله أدلة قاطعة على تحريم هذا العمل ، حتى تبقى دعوة التوحيد خالصة لله لا يشوبها إشراك ؛ لذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «فهذا التحذير منه ، واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المساجد على قبر الرجل الصالح صريح في النهي عن المشابهة في هذا . ودليل على الحذر من جنس أعمالهم حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن تكون من هذا الجنس . ثم من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الأمة من بناء المساجد على القبور ، واتخاذ القبور مساجد بلا بناء . وكلا الأمرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة»[4] .

ولذلك نرى الشيخ الأمين رحمه الله يؤكد أن عقيدة هذه الأمة المحمدية هي تحريم البناء على القبور ، وقد أيد كلامه بالنصوص الصريحة في النهي عن البناء على القبور ، وفي الأمر بهدم ما بني منها وتسويته بالأرض سداً لذريعة الشرك . وحماية لجناب التوحيد .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٦٦٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٤٢ .

(٣) أضواء البيان ٣/ ١٧٧ - ١٧٨ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٩٥ .